

الدكتور القس فهم عزيز

الفكر
اللاهوتي
في إنجيل

يوحنا



www.christianlib.com

الفكر اللاهوتي في إنجيل يوحنا

بقلم

الدكتور القس فهم عزيز

تقديم

الدكتور نبيل فهم عزيز

المحرر المسؤول

ديفيد فيكتور



دار الثقافة

الكتاب : الفكر اللاهوتي في إنجيل يوحنا
المؤلف : الدكتور القس فهم عزيز
صدر عن : دار الثقافة - ص. ب. ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٢٠٢٨ / ٢٠٢٣
التقديم الدولي : 6 - 71 - 6766 - 977 - 978
الطبعة : مطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف : آن مجدي
جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لدار الثقافة
١٠ / ١٣٠٢ ط١ / ١، ١، ١ / ٢٠٢٣
عزيز، فهم، ١٩٦٤ - ١٩٨٣.
الفكر اللاهوتي في إنجيل يوحنا / بقلم فهم عزيز: تقديم نبيل فهم عزيز: تحرير ديفيد فيكتور. - القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢٣.
ص: سم.
تملك ٦ ٧١ ٦٧٦٦ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الكتاب المقدس - العهد الجديد - يوحنا
أ. عزيز، نبيل فهم (مقدم)
ب. فيكتور، ديفيد (محرر)
ب. العنوان

تَحْذِير :

جميع حقوق الطبع والنشر لهذا الكتاب محفوظة للنشر، ولا يجوز إعادة طباعته أو اقتباس أي جزء منه دون إذن الناشر.

يُحظر نشر أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتسجيل أو بالتصوير أو غير ذلك.

مقدمة الدار

اتَّسم إنجيل يوحنا بسمات مميزة عن الأناجيل الإزائية الثلاثة -متى ومرقس ولوقا- إذ بدا من سطورهِ الأولى أنه يحمل طابعًا لاهوتيًا يغلف سرد المواقف والمعجزات، ويسعى لمواجهة تحديات فكرية وعقائدية لم تكن موجودةً حين كُتبت الأناجيل الأخرى. هذه الطبيعة المميزة جعلت قراءة إنجيل يوحنا تثير عددًا من التساؤلات لدى القراء والمفسرين والباحثين واللاهوتيين. على مر العصور، واشتملت هذه التساؤلات على تاريخ كتابته ومدى قربهِ من الحقبة الزمنية التي عاش فيها المسيح. وامتدت التساؤلات لتشمل هوية الكاتب، هل هو يوحنا أم هي وثيقة تخص الجماعة التي كانت تتبع يوحنا؟ لكن أهم التساؤلات هي التي تدور حول طبيعة القضايا اللاهوتية التي يثيرها إنجيل يوحنا، والهدف من طرحها، ومدى تأثيرها في الإيمان المسيحي.

كل هذه التساؤلات هي جزءٌ من كلِّ ما ورد في هذا الكتاب القَيِّم، الذي يتميز بمحتواه الجديد والعميق. فهو لا يقدم تفسيرًا تقليديًا لإنجيل يوحنا، ولا يبحث في الاختلافات بينه وبين الأناجيل الأخرى، بل يتعامل معه كعمل يحمل فكرًا لاهوتيًا ويحلل قضاياها اللاهوتية، وذلك بعد بحث المناخ الروحي والفكري الذي كُتب فيه إنجيل يوحنا.

ويتميز هذا الكتاب أيضًا أنه آخر ما جاد به العطاء الفكري واللاهوتي للدكتور القس فهميم عزيز، وهو واحد من أهم المفكرين اللاهوتيين العرب. ويسعدنا أن يخرج هذا الكتاب للنور لأول مرة من خلال دار الثقافة، مع مناسبة عيد ميلاده المئوي. واستكمالاً للأعمال الهامة للكاتب، ولقد سبق ونشرت دار الثقافة كتابه المماثل في النهج الفكري واللاهوتي والبحثي بعنوان "الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس".

تفخر دار الثقافة بهذا العمل، وتقدمه للقارئ العربي ككتاب مميز، بطرح متفرد، ربما غير مسبوق على الأقل في المكتبة العربية.

دار الثقافة



عن الكاتب

الدكتور القس فهمي عزيز (أكتوبر ١٩٢٤ - أكتوبر ١٩٨٣)

- ولد في قرية كوم بوها (مركز ديروط) في أكتوبر ١٩٢٤.
- ١٩٤٦/١٩٤٧ بدأ دراسته اللاهوتية في القسم التهذيبي بكلية أسبوط الأمريكية ثم بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة. وتخرج فيها سنة ١٩٥٠.
- ١٩٥٠ خدم كمبشر في كنيسة المراغة ثم الكنيسة الإنجيلية بالبلينا.
- ١٩٥٢ رسم ونصب راعيًا للكنيسة الإنجيلية بالبلينا. وظل يرعاها حتى سنة ١٩٦٣.
- ١٩٥٢ تزوج من فكتوريا عزيز ولهما ثلاثة أبناء: نبيل، هاني، وإيمان.
- ١٩٥٨ حصل على ليسانس الآداب. قسم الفلسفة. جامعة القاهرة.
- ١٩٦٣ سافر إلى أمريكا للدراسة اللاهوتية وحصل على درجة الماجستير في اللاهوت من كلية لاهوت لويفيل كنتاكي برسالة موضوعها «العشاء الرباني وصلاته بملكوته الله».
- ١٩٦٤ عُيِّن أستاذًا بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة.
- ١٩٦٦ بدأ رحلة تطوير الدراسات اللاهوتية في مصر والشرق الأوسط بافتتاح القسم المسائي للدراسات اللاهوتية للخريجين الذي ضمَّ لأول مرة خريجات سيدات.

- ١٩٦٩ سافر إلى إسكتلندا لاستكمال دراسته: حيث حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبره. وكان موضوع رسالته حول «مفهوم البر في رسالة رومية بالمقارنة مع عقائد أخرى».
- ١٩٧٢ انتُخب عميدًا لكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة.
- ١٩٧٤ اختير عضوًا في اللجنة الرباعية لإعداد الترجمة العربية المشتركة كترجمة حديثة للعهد الجديد والتي صدرت لأول مرة في ١٩٧٨.
- ١٩٧٥ انتُخب رئيسًا لرابطة المعاهد اللاهوتية في الشرق الأوسط. وكانت هذه الرابطة تضم ٩ كليات لاهوتية أرثوذكسية وكاثوليكية وأُدمجت في دائرة الاهتمامات اللاهوتية بمجلس كنائس الشرق الأوسط.
- ١٩٧٧ انتُخب عضوًا في جمعية علماء العهد الجديد في العالم، وهي جمعية تضم نخبة من اللاهوتيين المتخصصين في العهد الجديد على مستوى العالم.
- ١٩٨٣ استقبلته السماء.
- صدر له ١٧ كتابًا في مقدمتها «المدخل إلى العهد الجديد». كتاب «علم التفسير»، «الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس»، «ملكوت السماوات»، «الروح القدس»، «مواهب الروح القدس أو الكاريسما»، «الوصايا العشر»، «الشفاعة»، و«عقيدتنا اللاهوتية (ترجمة)». كما كان عضوًا في اللجنة المشرفة على ترجمة تفسير العهد الجديد لوليم باركلي.

الفهرس

٣ مقدمة الدار
٥ عن الكاتب
٩ المقدمة
١٣ الباب الأول: الموقف التاريخي للإنجيل الرابع
١٣ ١- إنجيل يوحنا في القرن الثاني
٢١ ٢- إنجيل يوحنا في عصر الآباء
٢٥ ٣- من العصور الوسطى إلى العصر الحاضر
٣٧ الباب الثاني: مدارس تفسير الإنجيل الرابع
٣٩ ١- التفسير الرمزي والمجازي
٤٣ ٢- التفسير الطقسي
٤٩ ٣- التفسير الخرفي الظاهري
 الباب الثالث: هل الإنجيل الرابع وثيقة جماعة خاصة تتبع التلميذ الذي
٥٣ كان يسوع يحبه؟
٥٩ أصل الجماعة وتطورها
٥٩ - المرحلة الأولى: مرحلة التكوين
٦٧ - المرحلة الثانية: كتابة الإنجيل
٦٩ - المرحلة الثالثة: مسيحيون آخرون يظهرون في إنجيل يوحنا

٧٥	الباب الرابع: الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي
٧٧	الشهادة في إنجيل يوحنا
٨٣	١- شهادة يسوع المسيح
٩٨	٢- الشهادة الإلهية ليسوع المسيح
٩٩	- شهادة يوحنا المعمدان
١٠٣	- شهادة الآيات
١١٠	- شهادة العهد القديم
١١٥	٣- الشهادة البشرية ليسوع المسيح
١٢٠	٤- شهادة الروح القدس (الباراقليط)
١٢٠	أ- الشهادة الداخلية للروح (الرؤية والإيمان المسيحي)
١٢٥	ب- الباراقليط - روح المسيح
١٢٩	الخاتمة

المقدمة

يأتي هذا الكتاب الجديد للدكتور القس فهيم عزيز كجزء من عطائه الغني الذي أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات اللاهوتية. ويتواكب إصدار هذا الكتاب الجديد مع مناسبة عيد ميلاده المئوي. ورغم رحيله عنا، فلا تزال كتاباته تُدرّس في المعاهد اللاهوتية العربية، وتشكّل منبعًا ينتهل منه كلّ دارس جادّ للعهد الجديد.

بعد أن صدر للمؤلف كتاب «الفكر اللاهوتي في كتابات الرسول بولس» كان مثقلًا بأن يتناول موضوع الفكر اللاهوتي في إنجيل يوحنا. وقد تزامنت كتابة مخطوطة هذا الكتاب مع فترة مرضه الأخير التي امتدت إلى ثلاث سنوات. والتي عاصرتها معه شخصيًا، عن قرب، باعتباري ابنًا له. وفي أثناء فترة النقاهة، بعد العملية الجراحية الثالثة، صرح لي أنه صلى ثلاث مرات ليرفع الرب عنه هذا المرض، لكن مثل الرسول بولس أعلن له الرب: «تكفيكَ نِعْمَتِي، لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمَلُ».

حينذاك كان وقع هذه الكلمات عليّ رهيبًا، ولكن كلماته هذه جاءت مع ابتسامة رقيقة ترسم على وجهه وعينين تعكسان سلامًا عجيبيًا كان بمثابة عون سماوي لابنٍ يُدْمِيه قلبه. ورغم إحساسه أن الوقت كان مقصرًا، بحد قوله، إلا أنه كان لديه يقين أن الرب سيعطيه وقتًا لإتمام

كتابة هذا الكتاب. وحقاً أعانه الرب في تحقيق أمينته. وفقط عندما خط آخر كلمة سقط القلم من يده. لقد تزامن تأليف هذا الكتاب مع فترة خاصة من الشفافية الروحية في حياة المؤلف لا يفشل القارئ المعين في استشعارها.

وكما عوّدنا الكاتب بأسلوبه الرائع الرشيق. اختار أن يدخل في حوار مع القارئ على صفحات هذا الكتاب. بطرح أسئلة بلاغية والإجابة عليها ليقدّم فكرًا مرتبًا يستحوذ على انتباه القارئ. كذلك حرص على أن يكون كل ما يريد أن يقوله مسجلاً في السرد العام للنص ليقبل من الحاجة إلى هوامش كثيرة قد تشتت انتباه القارئ.

والغرض من هذا الكتاب ليس مناقشة الاختلافات بين إنجيل يوحنا والأنجيل الثلاثة الأخرى التي سبقت ظهوره. ولكن المؤلف يحاول أولاً توضيح المناخ الروحي والفكري الذي نما فيه هذا الإنجيل. من خلال تحليل دقيق للنص نفسه ودلالاته بخصوص ذلك المناخ.

وفي صلب هذا يقدم لنا المؤلف دراسةً دقيقةً متمعنةً للاختيارات اللفظية المميزة التي انتقاها البشير يوحنا في الأصل اليوناني للإنجيل. ورسائله الثلاث. ويشرح المؤلف مغزى هذه الاختيارات اللغوية بالنسبة للمفهوم اللاهوتي الذي يقدمه البشير يوحنا للرد على المذاهب الفكرية المعاكسة للإعلان الإلهي المسيحي في نهايات القرن الأول الميلادي.

ويستطرد المؤلف ليوضح أنه -تحت إرشاد الروح القدس- كان على البشير يوحنا -كشاهد عيان- أن يسجل في إنجيله جوانب من حياة

وتعليم الرب يسوع لم تُكتب من قبل، ولكنها صارت لازمة لمواجهة تلك التحديات الفكرية والعقائدية التي لم توجد وقت كتابة الأنجيل الثلاثة الأخرى. وأكد البشير هذا بطريقة غير مباشرة في نهاية الإصحاح العشرين.

ويتطرق المؤلف إلى كيف أنه رغم أن هذا الإنجيل يتضمن عددًا قليلًا من المعجزات، مقارنةً بالأنجيل الثلاثة الأخرى، إلا أن كل معجزة كُتبت في إنجيل يوحنا يجب أن يُنظر إليها على أنها آية تشهد للابن وتعلن ألوهيته. بهذا تغيّر هدف الآية من إظهار الشفقة إلى إظهار مجد الله.

ويتطرق هذا الكتاب أيضًا إلى مناقشة العلاقة الوثيقة بين رؤية آيات يسوع والإيمان به أو الرافض الشديد له. ويناقش الكتاب دور الروح القدس وعمله في تحويل رؤية العيان المسجلة في الإنجيل إلى رؤية روحية تؤدي إلى الإيمان. وهذا يلقي الضوء على الجانب العملي الاختباري في الحياة المسيحية. هذه العلاقة بين الرؤية والإيمان شغلت الفكر المسيحي في الأعوام القليلة الماضية، والكنيسة العربية تحتاج أن تكون لها دراية قوية بهذا الموضوع لتعميق تأثير خدمتها وإرساليتها في المجتمع المعاصر المحيط بها والذي يشهد تحولات فكرية ملحوظة.

ويبرع المؤلف في إلقاء ضوء قوي على تسامي إعلان الابن في إنجيل يوحنا. من خلال إظهار الترابط اللاهوتي الوثيق بين إعلان الابن لله الأب وإعلان الابن لذاته. وبالإضافة إلى ذلك فإن الإنجيل يبرز من بدايته الوجود الأزلي للابن.

وفي هذا يقدم لنا المؤلف فكرًا متجددًا نحتاج له ككنيسة وكأفراد في عالم يشكك في ألوهية المسيح وفي طبيعة العلاقة بين الأب والابن. الإنسان المسيحي يحق له أن يكون مُلَمًّا بهذا المفهوم السامي لربه ومخلصه كقاعدة صلبة لإيمانه.

لعل هذا الكتاب يكون بركة لكثير من الدارسين ولأي مؤمن متعطش إلى معرفة عمق الإعلان المتسامي في إنجيل يوحنا كيما ينعكس هذا على البعد العملي لحياته المسيحية. ولعله أيضًا يكون ومضة ساطعة تنير طريق الباحث عن الحق.

نهاية أود أن أخص بالشكر جميع فريق عمل دار الثقافة، والذين بذلوا الجهد لكي يخرج هذا الكتاب للنور.

الدكتور نبيل فهميم عزيز

الباب الأول

الموقف التاريخي للإنجيل الرابع

ما هو تاريخ الإنجيل الرابع أو إنجيل يوحنا في الكنيسة؟ كيف عُومل وما هو التقييم الذي استحقه في كل القرون الماضية حتى وصل إلى عصرنا الحاضر؟ إن الموقف التاريخي يكشف لنا الكثير عن الطريقة التي فسرت بها الكنيسة. وبذلك نستطيع نحن أن نتلمّس طريقنا إذا تتبعنا هذا التفسير لنعرف كم أخذوكم أعطى للإنجيل الرابع.

١. إنجيل يوحنا في القرن الثاني؛

بات مؤكدًا الآن بعد اكتشاف البردية ٥٢ أن الإنجيل الرابع كُتب في آخر القرن الأول أو في مطلع القرن الثاني الميلادي. واختفت تقريبًا النظريات التي كانت تُؤكّد أنه كتب على الأقل في آخر القرن الثاني^١. فما هو الموقف الذي اتّخذه الدارسون بالنسبة لهذا الإنجيل؟ إن نظرة عامة على موقف الكنيسة خصوصًا في أواخر القرن الثاني تُظهر لنا

١- انظر المدخل للعهد الجديد. للمؤلف (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢١). وغيره من كتب المقدمات للعهد الجديد.

مقدار اهتمامها بالاختلاف الظاهر الواضح بين هذا الإنجيل والأنجيل الثلاثة الأخرى كما سيُتضح في تتبعنا لهذا التاريخ الهام.

انقسم الرأي إلى قسمين تجاه إنجيل يوحنا في القرن الثاني. فهناك موقف الغنوسيين منه، ثم موقف التيار المستقيم الرأي في الكنيسة. فما هو موقف كل منهما:

أولاً، موقف الغنوسيين:

من أهم الأمور وأكثرها غرابة أنَّ الغنوسيين اهتموا بإنجيل يوحنا أكثر من اهتمام الكنيسة به. ولعل أشهر من اهتم به منهم هي مدرسة فالنتينيس Valentinians. وأشهر كتابات هذه المدرسة هي التي ظهرت بالقرب من جُح حمادي. وسميت بمخطوطات جُح حمادي. ويهمننا من هذه المخطوطات اثنان من أنجيلها: إنجيل الحق Gospel of Truth ثم إنجيل فيلبس Gospel of Philip.

وهناك قائمة كبيرة يتشابه فيها إنجيل يوحنا مع إنجيل الحق الغنوسي نذكر منها على سبيل المثال:

يوحنا ١: ٤-١ مع إنجيل الحق ١٨: ١-٤.

يوحنا ١: ٣ و٤ مع إنجيل الحق ٢٧: ٣٤-٢٨: ١

يوحنا ١: ٤ و٥ مع إنجيل الحق ١٨: ١٦-١٨، ٢٤: ٢٧-٢٥: ١^٢

^٢ - هناك قائمة كبيرة في كتاب:

Rudolf Schnackenburg, The Gospel According to St. John, vol I, London: Burns and Oates, 1980, P. 194..

ويذكر Schnackenburg في كتابه أن هذه القائمة ليست كلها مؤكدة. ولكن قد يكون التشابه ليس لاقتباس الغنوسيين من إنجيل يوحنا بل من تشابه اللغة بين الاثنين. وهذا التشابه هو ما جعل الغنوسيين يهتمون بهذا الإنجيل ويسرعون في تقبلهم إياه. فهم مثلاً يهتمون بأصل هذا العالم السفلي وكيف انفصل عن الملء Pleroma. ثم «بالطريق» الذي يقود الإنسان إلى ذلك الملء. ثم «بالخلاص» الذي يظهر في هذا العالم ويفتح الطريق للناس إلى ذلك الملء. وقد رأوا -بطريقتهم الخاصة في التفسير- هذا كله في مقدمة إنجيل يوحنا: فتجسّد الكلمة رأوا فيه ظهور الخلاص. وإعلاناته فسّرت على أنها دينونة للعالم Krisis. وصعوده فسّر على أنه رجوع الخلاص إلى الملء Pleroma وهناك مع الآب يجذب الذين يسمعون كلمته.

أما إنجيل فيلبس فيظهر فيه كيف تأثر الغنوسيون بإنجيل يوحنا. وهناك مثال واضح على ذلك وهو أنهم مع كراهيتهم «للجسد» Sarx إلا أنهم امتصوها واستخدموها مع اللوغوس الذي هو العنصر الروحي. وظهر في إنجيل فيلبس هذا أهمية النساء الثلاث: مريم أم يسوع. وأختها مريم زوجة كلوبا. ومريم المجدلية. وهذا ما جاء في يوحنا ١٩: ٢٥. ورأي هذا الإنجيل عن الروح القدس.

بل لعل أول من قام بعمل تفسير لإنجيل يوحنا هو شخص غنوسي اسمه هرقليون Heracleon ولكن لا نعرف عنه إلا ما اقتبس منه أوريجانوس وناقضه فيه. ومن هذه الاقتباسات نعرف أن هذا المفسر كان يتبع مدرسة فالنتينوس مما يدل على أن إنجيل يوحنا معروف في

مصر. هذا هو موقف الغنوسيين ومقدار تقييمهم لإنجيل يوحنا. ومع ذلك فلعل كثيرًا من التشابه قد يكون تشابهًا لفظيًا، ولا يمكن لأي أحد أن ينكر الاختلاف الجذري الذي بين إنجيل يوحنا والغنوسية خصوصًا في مفهوم الوجود وعقيدة الخلاص.

ثانيًا، الكنيسة وإنجيل يوحنا:

يُؤخذ من الدراسات الحديثة أن إنجيل يوحنا عُرف في هذا العصر المبكر في مصر وآسيا الصغرى وجيرانها وروما. ومن تصفح الكتابات التي ظهرت في هذه المنطقة نجد الآتي:

(أ) رسالة برنابا: من المرجح جدًا أن هذه الرسالة كُتبت في مصر سنة ١٣٠ م. ونُسبت إلى برنابا رفيق الرسول بولس. وفي ضوء اقتباساتها من العهد القديم، الذي يمكن أن يكون قد أخذ من كتاب كُتب ليبين كيفية إتمام العهد الجديد للعهد القديم Testamonia، وُجدَ أن تفسيرها الذي تهتم به هو التفسير المثالي Typological وموقفها هو مناقضة التفكير اليهودي في ذلك العصر. أما إشارتها إلى كتب العهد الجديد فهي غامضة وغير واضحة (ما عدا ما جاء في ٤: ١٤، ٥: ٩). ولذلك فمن الصعوبة بمكان أن نميز الاقتباسات من إنجيل يوحنا. ومع ذلك فمن ألفاظها تظهر أنها تأثرت بإنجيل يوحنا فمثلاً:

التعبير الذي يتكرر فيها:

«يظهر في الجسد» (٥: ٦، ٧، ٩، ١٤، ١٢: ١٠ مع يوحنا ١: ١٤، ٥: ١٠

الموقف التاريخي للإنجيل الرابع | ١٧

يسوع يعلن عن نفسه أنه ابن الله (٥: ٩).

إبراهيم نظر إلى المسيح بالروح (٩: ٧ مع يوحنا ٨: ٥٦).

الحية في البرية تشابه الصليب (١٢: ٧ انظر يوحنا ٣: ١٤).

ولكن خلاف ذلك فلا يوجد تقارب بين هذه الرسالة وإنجيل يوحنا لا في الفكر النظري ولا في الموقف العملي. وهذا جعل هناك شكًا في الاقتباس. وظن بعض العلماء أن كل ما تشابه فيه هذه الرسالة مع إنجيل يوحنا ما هو إلا أنهما أخذًا من مواعظ وتقاليد كنسية عامة يعرفها كل من الكاتبين^٣. لكن هذا الموقف لا يثير دهشتنا إذا عرفنا أن الموقف العام في ذلك العصر كان يتجه كثيرًا إلى الأخذ بالتقليد الحي وسماع الصوت المباشر للأحياء من تلاميذ الرسل، وخصوصًا فيما يتعلق بأقوال الرب يسوع. وكان هذا أهم بكثير عندهم من الاقتباس المباشر من كتب العهد الجديد المعروفة لديهم. وفي ذلك لا يختلفون عن الغنوسيين. أما موطن الاختلاف فهو في استخدام هذه التقاليد: فأباء الكنيسة فسروها التفسير السليم أما الغنوسيون فقد وقفوا الموقف المنحرف.

(ب) الديداعي: أما كتاب الديداعي، الذي ظهر في سوريا، فقد زاد فيه وضوح الاقتباس من إنجيل يوحنا. وخاصةً في الأقوال الخاصة «بالعشاء الرباني» وهناك تشابه في اللغة بين (الديداعي ٩: ٤ ويوحنا

^٣ - انظر

١١: ٥٢). ومع ذلك فهناك شك لدى كثير من العلماء على أن هذا اقتباس مباشر من إنجيل يوحنا أم أنه كله تشابه في الألفاظ.

(ج) رسائل أغناطيوس: وكُتِبَت في (أنطاكية) سوريا. وهنا أيضًا فقد اختلف العلماء على مدى معرفته الكاتب بإنجيل يوحنا وقيل إن هناك ثلاثة اقتباسات في هذه الرسائل هي:

رسالة فيلادلفيا ٧: ١ مُقْتَبَسَةٌ من يوحنا ٨: ١٤، ٣: ٨.

رسالة فيلادلفيا ٩: ١ مُقْتَبَسَةٌ من يوحنا ١٠: ٧ و ٩، ١٤: ٦.

رسالة رومية ٧: ٣ مُقْتَبَسَةٌ من يوحنا ٦: ٢٦ - ٥٩.

وفي رسالة أخرى يقول أغناطيوس: «الذي صنع مسرة الذي أرسله في كل شيء» انظر يوحنا ٨: ٢٩. ولم يكن أغناطيوس يختلف عن معاصريه في أنه لم يهتم كثيرًا إذا كان قد تسلم العقيدة التي يتمسك بها سواء شفويًا أم مكتوبة. كان كل همه يتركز على المضمون فقط ولهذا فلا يمكن أن نجزم سواء أكان المصدر الذي يأخذ منه مكتوبًا أم شفويًا متداولًا.

(د) أما في آسيا الصغرى فهناك الأسقف بامياس أسقف هيرابوليس، الذي يُظهر معرفة مما في إنجيل يوحنا. ولكن لا ندري هل هذه المعرفة جاءت من الإنجيل نفسه أم هي مصادر شفوية سمعها لأنه هو الذي قال إنه يفضل سماع الصوت الحي للتقليد عن الكتب المكتوبة.

ومن آسيا الصغرى أيضًا جاءتنا رسالة بوليكاربوس أسقف سميرنا ويلوح أنه كان يعرف بما جاء في رسائل يوحنا (١ يوحنا ٤: ٢، ٣، ٤ يوحنا ٧ وذلك في ٧: ١) ومع ذلك فلم يشر إلى الإنجيل بتاتًا.

ولكن عندما نأتي إلى منتصف القرن الثاني، فإن الأمر يتضح أكثر. ولدينا ما لا يقل عن أربعة مصادر نجد فيها تأثير إنجيل يوحنا لا يشك فيه كثيرون.

وأحد هذه المصادر هو جاستن. ويتأثر جاستن بإنجيل يوحنا في عقيدة الكلمة «اللوغوس». فمع أنه يشابه عقيدة الفلاسفة الرواقيين ولكنه ينحى ناحية إنجيل يوحنا عندما يقول إن الكلمة صار بشرًا (كتاب الدفاع ٢٣). وكذلك في هذا الكتاب (١١: ٤، ٥) يبين شيئًا آخر يتأثر به من إنجيل يوحنا إذ يقول: «لأن المسيح قال أيضًا إذا لم تولد ثانية لا تقدر أن تدخل ملكوت السماوات ولكنه واضح لكل إنسان أن الذين ولدوا لا يقدر أن يدخلوا بطون أمهاتهم». وفي قصة عشاء الرب فإنه يفصل كلمة بشرية Sarx عن كلمة Sōma (الدفاع ٦٦: ٢، ٣). وفي مناقشته مع تريفو اليهودي يقول عن يوحنا المعمدان إن الناس ظنوه المسيا ولكنه هو نفسه صرخ وقال «أنا لست المسيا ولكني صوت صارخ» (الدفاع ٨٨: ٧). وإلى جانب ذلك يربط قصة الحية في البرية بما جاء في يوحنا ٣.

أما المصدر الثاني فهو الديباطسرون (التوافق) الذي عمله تاتيان حوالي ١٦٠-١٧٥ م. ليصنع توافقًا بين محتويات الأناجيل الأربعة -متى، مرقس، لوقا، ويوحنا. هذا التوافق كان واسع التأثير على جزء كبير من

الكنيسة ولم يذكر إنجيل يوحنا فقط، بل يضعه في مصاف الأنجيل الثلاثة الأخرى.

أما المصدر الثالث هو ثيوفيلس أسقف أنطاكية سوريا (١٧٠ - ١٨٣) الذي نكلم عن «الكلمة» ومع أنه توسع في الكلام عنه أكثر من إنجيل يوحنا إلا أنه يقول إن هذا من «الكتب المقدسة وكل الرجال الذين أوحى إليهم وخاصة يوحنا» وبعد ذلك يقتبس العدد الأول من الإنجيل.

والمصدر الأخير في هذا العصر هو ميليتو من سادرس الذي يتكلم في عظة عيد القيامة عن حمل الله الذي كُسر عظامه من أجلنا (انظر يوحنا ١٩: ٣٦).

من هذا نرى أن إنجيل يوحنا كان معروفًا قبل إيريناوس الذي يشير بصراحة إليه، وأن كثيرًا من الكتابات كانت تشير إلى يوحنا أيضًا.

المعارضون لإنجيل يوحنا:

ولكن القرن الثاني رأى حركة أخرى مضادة، هي الحركة التي أنكرت إنجيل يوحنا على أنه من كتب الكنيسة القانونية ونسبته إلى شخص غنوسي اسمه سيرنثوس Cerinthus. وهذه الحركة تمثل جماعتين:

الجماعة الأولى هي المعارضة لحركة المونتانية Montanism. وهذه الحركة الأخيرة كانت تنبّر على امتلاء قاداتها بالروح القدس وكانوا يتنبؤون ويتمسكون بمجيء المسيح الثاني بطريقة متطرفة. وكانوا يعتمدون في ذلك على سفر الرؤيا. ثم إنجيل يوحنا. وخصوصًا في عقيدة الروح القدس. وكان من نتيجة تنبيرهم على ذلك أن رفض معارضوهم

الكتابين معًا. واستمر سفر الرؤيا مدة طويلة غير مقبول في الكنيسة الشرقية. ولم يقفوا إلى هذا الحد. بل أنكروا كذلك وجود روح النبوة في الكنيسة. هذه الجماعة يذكرها إيريناوس ويقول إنها كانت شبيعة صغيرة جدًا في الكنيسة لم تستحق الذكر إلا في معرض دفاعه عن قانونية الكتب المقدسة في العهد الجديد. ولعل هذه الجماعة كانت في روما إذ يذكر أحد أساقفة روما أن رجلاً عالمًا اسمه غايس Gaius رفض إنجيل يوحنا وكذلك سفر الرؤيا ونسب الإنجيل إلى سيرينثوس.

وظهرت جماعة أخرى تدعى اللوجوي Alogai ترفض الكتابين أيضًا وتنسبهما إلى سيرنثوس. ولكن هذه الجماعة لم تكن غنوسية. بل على العكس. كانت ضد الغنوسية وضد عقيدة تبني المسيح adoptionism ولم يعارضوا في عقيدة لاهوت المسيح أو الروح القدس. ولم يكونوا -كغايس سالف الذكر- يرفضون الكتابين لمناقضتهم للمونثانيين ولكن لدراستهم النقدية لإنجيل يوحنا ومقارنته بالأناجيل الثلاثة الأخرى. ولم تكن لهذه الجماعات أثّة أهمية. ولعل قائمة الموراتوري للكتب المقدسة Moratorian Cannon كانت موجهة خاصة إلى هذه الجماعات لكي تؤكد قانونية الكتب المقدسة. ونشكر الله أن آراء هذه الجماعات لم تعمل في الكنيسة ولا جرّت كثيرين معها بل كانت دون تأثير يُذكر.

٢. إنجيل يوحنا في عصر الآباء؛

أول من يقابلنا في عصر الآباء وكان الأمر قد استقر لإنجيل يوحنا وصار على قدم المساواة مع الأناجيل الأخرى. هو المفكر الإسكندري العظيم أوريجانوس. كان أوريجانوس أول من كتب تفسيرًا لإنجيل يوحنا

من الآباء. بدأه سنة ٢٢٥ واستمر سنوات طويلة بعده ولعله لم يكمله. والطريف أن الذي أوحى بكتابة هذا التفسير إنسان عزيز عليه ربحه من الغنوسية فأراد أن يحاربها لذلك. كتب أوريجانوس هذا التفسير لينافض هيركليون. وقد اتفق معه المعلم الكنسي أوريجانوس على أن إنجيل يوحنا أعظم من أن يؤخذ على حرفيته. بل يجب أن يذهب المفسر إلى ما بعد المعنى الظاهري للكلمات. ولكنه -أي أوريجانوس- رفض أن يأخذ بالمبالغات والخيالات الواسعة التي استقامها هيركليون من الإنجيل. ورأى فيها شيئاً لا يمت إلى النص بصلة وناقضاً لكل عقائد الكنيسة. أما هو فقد سار في تفسيره على الطريقة الآتية:

(أ) عزم على أن يبدأ بالمعنى الحرفي للنص وكان يلوم هيركليون على أن يقوم بتفسير يضر بالنص ويضع على لسانه أشياء كاذبة.

(ب) كان يتمسك بالوحي الحرفي للكتاب المقدس. ولذلك فقد اضطر إلى أن يلجأ إلى التفسير المجازي؛ لأنه رأى صعوبة كبرى في التفسير التاريخي لبعض الأجزاء. ومع ذلك فقد كان يساير ويتبع التقليد اليهودي واليوناني.

(ج) وعلى هذا فقد أسس المعنى الروحي العميق على طبيعة الإعلان المقدس وكلمة الله التي مازالت تظهر في العهد القديم في صور وظلال. ثم استمرت تخفي نفسها تحت قناع الكلمات والحرف ولكن في العهد الجديد أخفت نفسها في شخص اللوغوس (عندما كان يغسل أرجل التلاميذ مثلاً) فلبست ثياباً أرضية. إن أوريجانوس لا يريد أن يغمض عينيه عن المعنى الظاهري أو الحرفي. ولكنه كان يريد أن

يذهب إلى ما بعد الحرفية والظاهر فيقول: «أؤمن أن الكتب المقدسة مهما عُرِفَتْ وفُهِمَتْ كل كلماتها وعباراتها ومعانيها فما ذلك إلا مقدمة ومدخل إلى الأسس الأكثر عمقًا البسيطة لمعرفة الإيمان. فكّر مثلاً في بئر يعقوب التي شرب منها هذا الأب الجليل. ولكنه الآن لا يشرب منها. وكذلك فعل أولاده: لقد شربوا منها ولكنهم الآن لا يشربون. وذلك لأن لهم ماءً أعظم ما لديهم وهو الماء الحي. لأن الماء الذي يعطيه يسوع أعظم من ماء البئر كما هو مكتوب عنه».

(د) ويعتقد أوريجانوس أيضًا أن الضمان للتفسير الصحيح. التفسير الذي يذهب أبعد من الحرف وأعمق من الكلمات هو كنيسة المسيح المقدسة. أي المفهوم الرسولي للكتب المقدسة. وصب أوريجانوس جام غضبه ولومه على الغنوسيين الذين يخرجون تفاسير شخصية فردية متعسفة خالية من الشهادة المقدسة.

(هـ) كان المحور الأساسي الذي يدور حوله تفسير أوريجانوس هو الكريستولوجي (عقيدة المسيح) Christology ثم الإستانولوجي (العقيدة المتعلقة بالأخرويات). فالعهد القديم هو بئر يعقوب وهو المدخل الذي يؤدي إلى يسوع إذا انصب عليه التفكير الصحيح. وهو الذي يعطينا المصدر الحقيقي للحياة الأبدية. ويستعمل المسيح كلمته في هذا العصر لكي يقودنا للأبدية التي هي في حقيقتها الفصح الثالث: لأن الفصح الأول كان في العهد القديم والفصح الثاني هو الذي فيه دُبح السيد. أما الفصح الثالث فهو الذي يُعَيَّد في حضور محفل ملائكة قديسين عند الخروج الأكمل والمبارك.

هذا التفسير المجازي قد يكون غريبًا على الأسماع. ولكن إذا تركنا الطريقة التفسيرية ونظرنا إلى ما وراءها نجد فهمًا عميقًا لكلمة الله التي تجسدت في الكلمة وفي كلمات الكتب المقدسة. ومع ذلك فهي مخفاة لا يمكن أن يصل إلى قرارها أي تفسير مهما كان عمقه.

بعد أن رأينا تفسير أوريجانوس. الممثل الأكبر لمدرسة الإسكندرية. تنتقل إلى المدرسة المقابلة لها وهي مدرسة أنطاكية. فبعد عصر أوريجانوس حدثت المناقشات الحادة في الكنيسة الخاصة بعقيدة التثليث والتجسد واستُخدم إنجيل يوحنا أكثر استخدام خصوصًا في معالجة هرطقة أريوس. وجاءت كل التفاسير وهي مملوءة بهذه المناقشات. إلى أن ظهرت تفاسير مدرسة أنطاكية. التي فسرت الكتاب تفسيرًا حرفيًا. وفسرت العهد القديم في ضوء تجسد المسيح ولذلك قدمت خدمات جليلة في الكريستولوجيا. ولكن أحرقت الكنيسة كل هذه الكتب في لهيب المناقشة الحادة في الهرطقة النسطورية وحرمتها ولم يبقَ منها إلا مقاطع صغيرة اقتُبست في كتب أخرى.

ومن أهم التفاسير التي ظهرت في هذه المدرسة وعرض الأسس التي بُنيَ عليها تفسيرها هو تفسير تيودور المبوساسي Theodore of Mopsuestia. الذي يعتبر أعظم من ظهر في هذه المدرسة وعرض لمبادئها اللاهوتية والتفسيرية وكان تفكيره واضحًا؛ حيث لم يعترف بأي نقص في الابن بالنسبة للأب ولكنه كان ينبّر دائمًا على التمايز بين الطبيعتين اللاهوتية والبشرية.

أما التفسير الثاني جاء من هذه المدرسة فهو تفسير يوحنا فم الذهب، وهو عبارة عن مواعظ قصيرة أقل من كتاب نيدور المبوساسي في عمقه. لكنه يتجه إلى العمق الرعوي ومع أنه لم يكن مقنعًا بالكفاية إلا أن فكره الرعوي كان عميقًا. وفي مواجهة أريوس الذي كان يؤكد محدودية المسيح وضعفه رغم ما يقوله إنجيل يوحنا عنه. كان فم الذهب يكرر دائمًا أن الله وضع كلمته في شكل بشري (في المسيح) ثم في شكل لغوي (الكتاب المقدس).

بقي هناك في هذه الفترة تفسيران لهما أهميتهما: الأول هو التفسير الذي كتبه كيرلس الإسكندري وهو تفسير ملوء بال مناقشات والمجادلات مع أنه لم يذكر شيئًا عن نسطور مما يدل على أنه كتب قبل ظهور هذه البدعة بقليل.

أما التفسير الثاني فهو تفسير أغسطينوس وهو تفسير أعمق من أن يكون كتاب مجادلات. ولكنه أدى إلى مفهوم ناضج للإنجيل. وكتب في ١٢٤ نبذة. وكانت أصلًا عظات وعظها في الكنيسة. مرات كثيرة لم يهتم أغسطينوس بالمعنى الحرفي. ولكنه كان يذهب مباشرة إلى التأمل والتفلسف مما جعل لهذه العظات المركز السامي في ليتورجية الكنيسة.

هذه هي أهم المحاولات لفهم إنجيل يوحنا في عصر الآباء.

٣. من العصور الوسطى إلى العصر الحاضر:

(١) عندما نأتي إلى العصور الوسطى فإننا مع طولها لا نجد شيئًا ذا بال. ولكننا نجد أن كل الكتاب كانوا يستخدمون الكتيبة Catina

وهي جمع ما يمكن جمعه من أقوال الآباء بخصوص جزء أو موضوع من الإنجيل يوضع تحت التفسير ولعل أهم كاتبين كان لهما التأثير على إنجيل يوحنا هو John Chrysostom «يوحنا فم الذهب» في الشرق ثم أغسطينوس في الغرب ولم يكن هناك كاتب لم يتأثر بهما. ولكن هذا الأمر لا يعني أنه لم يخرج كُتَّابًا مستقلين. ولكنهم كانوا قليلين جدًا من أمثال توماس أكويناس.

١٢ عصر الإصلاح: بدأ في هذا العصر معرفة الناس باللغات القديمة وكان من ضمن هذه اللغات وأهمها اللغة اليونانية. فبدأ الكُتَّاب يرجعون إلى اللغة الأصلية للإنجيل. وكان من ضمن الأعمال الهامة التي قام بها إيراسموس هو الكتب المفسَّرة للعهد الجديد Paraphrasing. ثم جاء الإصلاح وظهرت فيه تفاسير لإنجيل يوحنا مع أن هذا الإنجيل لم يلعب -مثل رسالة رومية- دورًا هامًا في المناقشات التي دارت في ذلك العصر. ولكن ملانكثون Melancthon كتب تفسيرًا للإنجيل سنة ١٥٢٣. ولكن التفسير المشهور الذي ظهر في عهد الإصلاح سنة ١٥٥٣ هو تفسير جون كلشن له. لم يهتم كلشن في تفسيره بالأسئلة المعقدة من جهة المقدمة التاريخية للكتاب مثل الكاتب ولن كتب وغير ذلك كما هي العادة في العصر الحديث، ولكنه دخل مباشرة في عمق الكتاب. كان يفسر الكلمات اليونانية. ولعل أول كلمة بدأ يفسرها هي كلمة «إنجيل Eanglion» ثم فسره عددًا عددًا فلم يكن يعمل كسابقيه إذ كانوا يأخذون الجزء ككل أدبي ويفسرونه. بل تتبعه في أعداده. أما طابع التفسير فكان دفاعيًا. حاول فيه أن يصحح الخطأ العقائدي والسلوكي

في عصره. ولكن المبدأ الهام الذي سيطر على فكر كلثن في تفسيره للإنجيل هو أن المسيح هو الابن الوحيد والسلطان الكامل لإعلان الآب حتى ينال الناس الحياة فكان ينبر على قول الإنجيل «فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ.» (يوحنا ١: ٤).

٣) بعد عصر الإصلاح جاءت فترة فيها تمسك الناس بعقيدة الوحي اللفظي للكتاب المقدس. ومع أن هذه الفترة لم تكن مثمرة كثيرًا. إلا أنه في بعض الأوقات ترعرعت المعرفة اللغوية للكتاب المقدس وجعلت العلماء يقارنون العهد الجديد بالكتابات اليونانية الكلاسيكية أو أن يوضحونه بواسطة دراسات في اليهودية. وهذا دفع الدراسات في إنجيل يوحنا إلى الأمام بعض الشيء. حتى وإن كان بطريق المقارنة أو دراسة بعض الأعداد وحدها دون القرينة. وفي هذه الفترة ظهر تفسير وتستاين Wettstein في جزئيه الذي يعتبر تحصيلًا ضخماً خاصة في دراسة النص دراسة نقدية لغوية. ثم تفسير بنغال Bengal الذي مازال له قيمته إلى الآن. ثم بدأت تظهر بشائر النقد الذي نسميه النقد العالي higher criticism الذي يضع أسئلة للإجابة عليها كاسم الكاتب ولمن كتب والظروف التي جعلته يكتب وتاريخ ومكان الكتابة وهكذا. وقد بدأ هذا النقد عالم اسمه سملير Semler. ونتيجة لذلك بدأ اسم كاتب إنجيل يوحنا يظهر في النور كشخص يختلف عن يوحنا الرسول ولكن لا يُعرف اسمه بالضبط. ثم بدأ العلماء وخاصة أولئك الذين كتبوا عن حياة يسوع في القرن التاسع عشر يتشككون في القيمة التاريخية لهذا الإنجيل وقال اشتروس (١٨٤٨) عنه إن معظم ما

فيه أساطير ولم يكتبه تلميذٌ ليسوع ولا حتى شخص معاصر لتلك الأحداث. وعلى هذا الأساس ونتيجة لتمسكه بفلسفة هيجل وضع بوار Baur تاريخ كتابة يوحنا في أواخر القرن الثاني.

٤) ظهر في القرن التاسع عشر تفاسير عظيمة مثل تفسير ماير Meyer سنة ١٨٢٩ وهو الذي كتب بنفسه تفسيرًا للإنجيل يوحنا سنة ١٨٣٤. وهذا العمل طُبع مرات كثيرة وظهرت له طبعات مصححة وهو باقٍ إلى وقتنا الحاضر. وقد ظهرت كتب أخرى ومنها كتب لبعض العلماء الكاثوليك الذين كتبوا أولاً بطريقة دفاعية ثم تبعوها بكيفية تفسيرية حاول أن تظهر التقليد الكاثوليكي في إجابته. ولعل أهم كتاب ظهر في ذلك العصر هو تفسير شانتز Shantz. الذي اهتم بوجه خاص بتفسير الآباء. ثم كتابات لارانش Layrange مؤسس Ecole Biblique في القدس. وقد نشر لارانش تفسيرًا للإنجيل يوحنا سنة ١٩٢٥ وهو يعتبر من أعمق التفاسير الكاثوليكية.

ومن أهم الاتجاهات التي ظهرت في القرن التاسع عشر دراسة الكتاب المقدس في ضوء الدين المقارن. وقد بدأ العلماء يرون عوامل وتأثيرات كثيرة من العالم الخارجي والديانات الأخرى ظهر أثرها على إنجيل يوحنا. وقد رأوا فيه تقاربًا مع الغنوسية وعلى الأصح الغنوسية المسيحية أو الغنوسية المصرية مثل هرمس والماندائية Mandaeanism وأسطورة إيران «سر الفداء للمُخلَّص المُخلَّص» redeemed redeemer. ومع ذلك كانت هناك حركة مضادة تربط إنجيل يوحنا باليهودية الفلسطينية. وبدأت الدراسات العميقة ولم تنتهِ للآن.

الاتجاهات الحديثة في تفسير إنجيل يوحنا:

ظهرت في السنوات الأخيرة أعمال كثيرة عن إنجيل يوحنا تتفاوت في اتجاهاتها وتفاصيلها وفي حجمها وقيمتها. بعضها كُتِب كتفسير كامل للإنجيل وبعضها يتعلق ببعض المواضيع والمشكلات التي يثيرها الإنجيل أو المفسر. لكننا لا نستطيع أن نشير إليها كلها ولا إلى المدارس التي تمثلها. يكفي أن نشير إلى ثلاثة كتب. اثنان منها كُتِبَا باللغة الإنجليزية وهما كتابا هوسكنز Hoskyns ودود Dodd أما الثالث فقد جاء من ألمانيا وهو تفسير يوحنا لبولتمان Bultmann. ومع أن كُتِبَا كثيرة ظهرت لا تقل أهمية مثل كتاب باريت Barrett⁴ وبرنارد Bernard⁵ وغيرهما إلا أن هذه الكتب الثلاثة تمثل كل المدارس.

الكتاب الأول ومؤلفه هوسكنز⁶ E. C. Hoskyns نشأ في المدرسة الإنجليزية التي تتميز بدراسة الكتاب كلمة كلمة كما فعل وستكوت من قبله. وقد نُشِر هذا الكتاب اسمه «الإنجيل الرابع» بعد موت مؤلفه. اهتم هذا المؤلف بدراسة كثير من المشكلات التي يتميز بها الإنجيل كصلته بالتاريخ ثم بعض النواحي اللاهوتية خصوصاً عقيدة المسيح Christology وعقيدة الخلاص Soteriology. وقد درس المؤلف أيضاً خلفية الإنجيل من العهد القديم والتقاليد اليهودية ونَبَّر عليها. ولكنه لم يُعَرِّ التفتاً إلى الخلفية الهيلينية.

4- C.K. Barrett, *The Gospel According to St John*. 2nd Edition, Philadelphia: Westminster Press, 1978

5- J H Bernard, *A Critical and Exegetical Commentary on The Gospel According to John*, New York: T & T Clark, 1929.

6- E.C. Hoskyns, *The Fourth Gospel*, London: Faber & Faber, 1947.

نُشر كتابه بعد موته (١٩٣٧) كتب المقدمة والإصحاحات الستة الأولى. أما (٧- ٢١) فقد أُخذت من مسودة كان يريد أن يراجعها ولكنه مات قبل ذلك. يقول هوسكنز في آخر فصل في المقدمة عن إنجيل يوحنا:

أ. الكتاب كان يراد به كتابة تاريخية. لكنه كُتب بعد أن انتهى هذا التاريخ في الصلب والقيامة.

ب. الكتاب ليس سجلًا لخبرة تصوفية لأن الكتاب يؤكد على تاريخية «بشرية ابن الله».

ج- إن نظرية الكتاب هي اللامحدود الذي يدخل الحدود -التاريخي الذي يدخل التاريخ- الكلمة يصير بشرًا. الكتاب تاريخ وتفسير معًا. والتفسير لا وجود له بدون التاريخ.

د- يعتقد هوسكنز أن الإنجيل الرابع وتفسيره يجب أن يأتي قبل محتويات الأناجيل الثلاثة؛ فهو الذي يجمعها ويحفظها من التآكل. والاختبار الذي به نعرف الإنجيل الرابع سواء أكان قانونيًا أم لا هو أن نقرأه مع قصة إنجيل مرقس لنعرف هل صار لهذا الإنجيل الأخير معنى؟ فالإنجيل الرابع هو الذي يجعل للأناجيل الأخرى معنى بتفسيره ولاهوته. وأن تكون لرسائل بولس معنى أوضح وإلا لصار العهد الجديد نتفاً مقطعة لكل واحد منها فكره اللاهوتي. وأصبحنا نتكلم عن بساطة الأناجيل الثلاثة ونُعقد أفكار بولس ونصوف الإنجيل الرابع الذي لا تاريخ له. وبذلك رأى هوسكنز وحدة العهد الجديد اللاهوتية.

وفي تفسيره ليوحنا ٢: ٢٣-٣: ٢١ «يسوع ونيقوديموس معلم اليهود» رأى هوسكنز المواضيع التالية:

أ- التوبة: معرفة الله لا تأتي بالمعلومات الكثيرة وإلا لعرفها نيقوديموس بل تأتي من بدء تَشْيِطِ خلاق للحياة تشير إليه الولادة البشرية: إذ تشير هذه إلى ما بعدها. إلى الولادة من فوق. فالدين والولادة البشرية ينتميان إلى الحياة البشرية ويشيران إلى سلطان الله. ولكن ذلك لا يظهر إلا لمن قُتِحَ عينا الإيمان فيه: أي المولود من الروح. لا يوجد تحول من البشرية إلى الروح بل هي ولادة جديدة.

ب- يسوع نفسه: من الآيات يتحول إنجيل يوحنا إلى إرسالية يسوع نفسه ابن الإنسان. قلب الإعلان هو السماء ومكانه الأرض. ولا يمكن أن يعلنه إلا الذي جاء من السماء. فنيقوديموس لا يمكن أن يقول شيئاً. ولكن عدم مقدرة نيقوديموس ليس ميؤوساً منها لأن يسوع جاء لمثل هذه الحالات. يسوع من السماء جاء إلى الأرض ومع أنه تنازل عن مجده. ولكنه لم يتنازل عن شركة الآب بالابن.

ج- موت ابن الإنسان ومجد الله: «لكل من لهم عيون ترى. ولكل من يؤمن: مكان الإعلان هو الموت. لأجل ذلك فطريق الموت -موت ابن الإنسان- حدده الله نفسه لفرط من محبته ولم يكن أبداً للحظ أو لسوء نية البشر الأعداء». ومكان الإعلان هو مكان الإيمان. «فكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي تشفى به جراحاتنا». ولكنه مع أنه مفتوح للجميع لأنه ابن الله الوحيد.

ولكنه مؤثر فقط على جميع من يؤمنون. فمحبة الله لازال لها عنصر الدينونة.

د- الدينونة والخلص- الأعمال والإيمان: مجيء ابن الإنسان خلاص. ولكنه دينونة للرافضين.

أما الكتاب الثاني ومؤلفه دودد Dodd^٧ اسمه «تفسير الإنجيل الرابع» وهو ليس في الحقيقة تفسيرًا بالمعنى المعروف. ولكنه يلقي ضوءًا باهرًا على الكتاب. ولقد اهتم دودد ألا يكون متحيزًا لناحية واحدة في خلفية إنجيل يوحنا. ولكنه رأى فيه ارتباطات متعددة لخلفيات وتيارات روحية متنوعة مع أنه نَبَر كثيرًا على ارتباطه بكتابات هرمس. وقد نجح دودد في دراسات المواضيع المختلفة في إنجيل يوحنا وتركيبه المعقد.

نأتي الآن إلى الكتاب الثالث: الذي له الأثر الضخم في دراسة إنجيل يوحنا لأجابه المختلف عن كل الكتب الماضية. وهو تفسير إنجيل يوحنا لمؤلفه رودلف بولتمان^٨

ونظرًا لأجابه هذا ولتأثيره على الدراسات الحديثة سنطيل دراسته بعض الشيء. يستخدم بولتمان كل ما في جعبة الدراسات الحديثة من وسائل لدراسة إنجيل يوحنا. فهو يستخدم النقد العالي Higher Criticism، نقد المصادر Source Criticism، ونقد التحرير Redaction Criticism

7- C. H. Dodd, *The Interpretation of The Fourth Gospel*, London: Cambridge University press, 1968

8- Rudolf Bultmann, *Gospel of St. John: A Commentary*, Louisville, Philadelphia, PA: Westminster/John Knox Press, U.S., 1971

ويخرج بالنتيجة التالية: ينقسم إنجيل يوحنا إلى ثلاثة أقسام: قصة الآلام، ثم كتاب الآيات أو المعجزات، ثم كتاب الخطابات. أما قصة الآلام فقد وجدها الكاتب كاملة مضمونها موت المسيح وقيامته وتشبه القصة التي في الأنجيل الثلاثة الأولى. وفيها الكثير من بقايا اللغة الساميّة. أما كتاب الآيات فيتكون غالبًا من قصص المعجزات التي نقرأ عنها في الإصحاحات الاثني عشر الأولى على حد قوله في ١: ١١ «هذه بَدَايَةُ الْآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَأَمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ» وقوله في (٤: ٥٤) «هذه أيضًا آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية إلى الجليل» وقد قيل إن هذا قد أُخِذَ من مصدر اسمه «مصدر الآيات Signs Quelle» كانت تعد فيه الآيات، ومعظم ما في هذا الكتاب شبيه بما هو موجود في الأنجيل الثلاثة الأولى. ومنها أيضًا كثير من الساميّة. ولكنه ليس صورة طبق الأصل مما في الأنجيل الأخرى. بل يحتوي على أشياء ليست فيها مثل آية عرس قانا الجليل. ويقول بولتمان إن الإنجيلي أخذ هذا الكتاب ووضع فيه تغييرات لكي يجاري فكرته التي تظهر بوضوحها الكامل في الكتاب الثالث أي كتاب الخطابات. فكتاب الآيات في ذاته لا يُقصد به شيء سوى ذكر آيات السيد وقوته أما الإنجيلي فقد حولها إلى شيء آخر هو محاولة جرّ القارئ إلى عمل مواجهة مع الكلمة المتجسّد.

بقي كتاب الخطابات وهو الشيء الهام جدًا في دراسة بولتمان لإنجيل يوحنا. هذا مأخوذ من مصدر يبدأ بالمقدمة التي تصف في لغة شعرية مجيء المعلن Revealers إلى العالم ويُدعى «الكلمة» أو

«اللوغوس». وفي الخطابات التالية يتكلم هذا المعلن بنفسه وعن نفسه فيعلن أنه وسيلة خلاص العالم ويقول: «أنا هو خبز الحياة. أنا هو نور العالم. أنا هو الباب. أنا هو الراعي الصالح. أنا هو القيامة والحياة. أنا هو الطريق والحق والحياة» وإلى جانب ذلك يعلن عن أصله السماوي مما يجعله يختلف عن عالم البشر: أنا من فوق أما أنتم فمن أسفل «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». أما الخلاص فيأتي من امتلاك المعرفة الإلهية: وهي «وعندئذ نعرفون أنني أنا هو» و«هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ». هذه اللغة تُظهر أن هذا الكتاب من أصل هيليني. ونظرًا للمقدمة الشعرية وأقواله المكتوبة بلغة هي الشعر المنثور يتضح أنه كُتِبَ بطريقة الشعر السامي. ويعتقد بولتمان أن هذا المصدر نشأ في وسط غنوسي سبق ظهور المسيحية. وكانت الجماعة التي نشأ فيها في سوريا حيث اختلطت فيها الساميّة والهيلينية معًا. ولما جاء الإنجيلي أخذ هذا المصدر «وعمّده» أي حوله إلى شعر مسيحي بأن ربط هذه الحقائق، التي لا ترتبط بالزمان ولا بالمكان، بل بالشخص المعلن، الذي هو الكلمة الذي تجسد في حياة وعمل يسوع المسيح.

يعتبر بولتمان هذا المصدر الذي حوّله الإنجيلي إلى كتاب الخطابات هذا هو أهم ما كتب الإنجيلي. وهذا ليس حكم بولتمان فقط، بل الإنجيلي نفسه. ولذلك حوّله إلى كتاب مسيحي أو كما يقولون «عمّده» وجعله من كتاب حقائق معنوية إلى كتاب خدّ يواجه الإنسان بالّله الذي أعلن نفسه في الكلمة. وقد ظهر هذا التفسير الوجودي في

تفسير المقدمة ويقول بولتمان: «فكما أن معنى الحياة يتضمن مفهومًا لنفسها واضحًا بدون مشكلات ولا ألغاز هكذا يكون هذا «النور» الذي ينطلع إليه الإنسان، كاستنارة نهائية، تحرر الإنسان من الموت الذي يجعل للوجود شيئًا لا معنى له. وكلما اعتقد الإنسان أن هذا «النور» هو عطية صالحة إستخاتولوجية، زاد اقتناع الإنسان أن الاستنارة التي يستنير بها وجوده لا تكمن في نفسه، ولكنها تصبح عطية إلهية. وهكذا يصبح هذا النور إعلانًا. وإذا تكلمنا عن المعلن فإننا نصفه أنه هو النور أو حامل النور. وفي يوحنا يُعتَبَر يسوع هو النور بهذا المعنى أنه هو المعلن الذي يضيء على الناس فهمًا جديدًا لأنفسهم حتى تكون لهم فيه حياة». وهكذا يفسر بولتمان إنجيل يوحنا تفسيرًا وجوديًا، أي أنه يضعه في إعلاناته أمام الإنسان حتى يتحداه لكي يقرر بنفسه أن يأخذ لنفسه النور. ويقال إنه من بدء هذا العمل بدأ بولتمان برنامجَه الذي يسميه demythologizing.

الباب الثاني

مدارس تفسير الإنجيل الرابع

إنجيل يوحنا كان ولا زال حقلاً واسعاً حافلاً بالمعاني القريبة والبعيدة، مما جعل كل مدارس التفسير المعروفة في المسيحية أن تدخل الحلبة، لعلها تكتشف كنوز هذا الإنجيل. ولقد ذكر إكليمنضدس الإسكندري أن يوحنا الرسول لما رأى أن الأناجيل الثلاثة السابقة قد حوت الأمور المحسوسة والملموسة عن يسوع المسيح، رأى أن يكتب هو إنجيلاً عن الروحيات والأمور الاختبارية عنه. وهو يعلن بذلك أن هذا الإنجيل لابد وأن يُقرأ ويُدرس ويُفسَّر روحياً؛ لأنه كُتِبَ عن الروحيات. ولأجل ذلك تنالت على هذا الإنجيل عدة مدارس. ويمكننا أن نعطي مثلاً على تنوع التفاسير التي وردت على هذا الإنجيل. ففي يوحنا ١٩: ٣٤ - ٣٧، نقرأ «لَكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ. وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ، وَشَهِادَتُهُ حَقٌّ. وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ. لِأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظُمَ لَا يُكْسَرُ مِنْهُ». وَأَيْضًا يَقُولُ كِتَابٌ آخَرُ: «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ»».

يذكر الكاتب هنا أن شيئاً غير عادي حدث في موت يسوع. وأن الذي رأى ذلك يشهد به فهي حقيقة مؤكدة. ولذلك فهي هامة لأجل الإيمان. وفوق ذلك أنها حدثت لكي يتم الكتاب. أما عن الشيء الذي حدث -وهو خروج ماء ودم- فقد قُسرَ بثلاثة تفاسير مختلفة: التفسير الأول هو التفسير الحرفي فيقول باركيت⁴ Burkitt في ذلك إن وضعنا هذه الكلمات إلى ما قاله أيضاً في ايوحنا ٥: ٦-٨ فإننا نرى أن الكاتب يريد أن يدحض بدعة الدوسيين الذين ينكرون بشرية الرب. فذكر أن الإنسان يتكون من دم وماء وروح. أما روح يسوع فقد أسلمها للآب ولم يبقَ إلا دمه وماءه. فلما طعنه العسكر خرج هذا الدم والماء. فهذه العبارة أو الحقيقة يجب أن تؤخذ كما هي وتُفسَّر تفسيراً حرفياً تاريخياً. أما بروك⁵ Brooke فيرى أن ما جاء في الإنجيل هو صورة للحق الذي تذكره الرسالة بطريقة رمزية. فتظهر أن آلام السيد ومعموديته بالماء مهمان في حياته. لأن الماء هو رمز إلى معموديته عندما عمده يوحنا المعمدان لبدء رسالته أما الدم فيمثل أو يرمز إلى موته الذي أنهى به حياة التضحية. أما التفسير الثالث فيرى أن في الدم والماء تكمن الفريضتان -المعمودية والعشاء الرباني.

فهذه الحقيقة قُسرَت تفسيراً حرفياً ثم رمزياً ثم طقسياً Sacramental لأنها تختمل هذه التفاسير الثلاثة. ولعله يوضح الأمور أن نتكلم عن كل طريقة تفسير على حدة لنعطي بعض الأمثلة عليها:

4- F. Crawford Burkitt, *The Gospel History and Its Transmission*. London: The Wentworth Press, p 233.

5- A. E. Brooke, *The Commentary of Origen on S. John's Gospel*, Cambridge: Cambridge University Press P. 763.

١- التفسير الرمزي والمجازي:

نضع الاثنين معًا عالين أن هناك فرقًا بين الرمز Symbol والمجاز Allegory وأن الرمز هو شيء أو عمل يقوم به الإنسان ليعبر عن حقيقة وقعت أو سوف تقع. أما المجاز فهو استخراج معان خافية تحت المعنى الظاهر الحرفي. ولكن الاثنين كطريقتين للتفسير تتقابلان في هذا السفر ولأجل ذلك وضعنا الاثنين معًا. وهذا التفسير يظهر في: الأعداد ويقولون: إن الإنجيل مبني على الأعداد التي ترمز إلى شيء. فمثلاً السنون الثماني والثلاثون التي مكثها المفلوج على البركة. ترمز إلى الثماني والثلاثين سنة التي مكثها إسرائيل بين قادش برنيع ووادي زارد (ثنائية ٢: ١٤). والخمسة الأروقة التي في بيت حسدا في نفس القصة (يوحنا ٥: ١-٩) ترمز إلى الخواص الخمس التي للإنسان غير المتجدد فهي رمز للرغبة الشريرة. وفي قصة أخرى قصة السامرية (يوحنا ٤) نجد فيها أن للمرأة خمسة أزواج وهم رمز للخمسة المضلين أو الخمسة الآلهة التي عند الأمم الخمس الذين أسكنهم ملك أشور في السامرة بعد أن خربها (٢ملوك ١٧: ٢٤ - ٣٤). ويقول Peak إن المرأة السامرية هي المجتمع السامري الذي يعرج بين الوثنية وعبادة يهوه. وكان لها خمسة أزواج بمعنى خمسة آلهة وثنية عبدها السامريون أما الزوج الذي معها وليس زوجها فهو يهوه الذي تعبدته عبادة غير شرعية.

وفي الإصحاح الأخير من الإنجيل نجد الكثير من هذا النوع من التفاسير: فمثلاً عندما سبّح بطرس مائتي ذراع. هذا العدد مائتان يرمز

إلى التوبة. أما عدد السمك الذي أمسكوا به ١٥٣ سمكة فكان مصدرًا لتأويلات كثيرة. يقول جيروم في تفسيره لحزقيال ٤٧: «إن السمك الذي أمسك بمثل عدد أنواع السمك الذي في البحر. وهذا يشير طبعًا إلى عدد الأمم التي على وجه الأرض: فقد مُثِّلَت هنا في عدد السمك الذي أمسكه التلاميذ بالشبكة. أما أغسطينوس فقد أعطى تفسيرًا آخر وهو أن العدد ١٥٣ هو أضعاف العدد ١٧ وهذا العدد بدوره يتكون من ١٠ وهو يرمز إلى الوصايا. ٧ وهو يرمز إلى الروح (رؤيا ١: ٤، ٣: ١) فالعدد ١٥٣ يرمز إلى كل الذين يتمتعون بعمل الخلاص الذي تهبه النعمة ويتصالح مع الناموس.

في آية قانا الجليل (يوحنا ٢: ١-١٠) هناك الأجران الستة. قالوا إن الإنجيلي. وهو يصف المعجزة على أنها أولى الآيات التي صنعها يسوع. فعدد ستة إذًا له معنى وهو العدد غير الكامل. وبذلك تشير الأجران الستة إلى عدم كمال الديانة اليهودية. وفي تفسير آخر أن عدد الأيام المذكورة في ١: ١٩-٢: ١١ هي سبعة أيام وهي ترمز إلى الكمال المسيحي الذي جاء عندما أحال المسيح الماء اليهودي إلى خمر العهد القديم. ولقد حدث ذلك -كما يقولون- في اليوم الثالث وهو بهذا يشير إلى يوم قيامة المسيح من الأموات. أي أن العهد الجديد بُنيَ على أساس موت وقيامه المسيح.

هذه أمثلة من هذا التفسير الرمزي الذي انصبَّ على الأعداد وهناك أيضًا ما يختص بالأشخاص مثل «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» والأماكن وغيرها ما لا مجال له هنا. وقد حَفِلَت تفسيرات الآباء بهذه

الرمزيات والمجاز ذي الخيال المتسع الآفاق بداعٍ وبدون داعٍ. نعم نحن لا ننكر أن طبقات عديدة من المعاني تكمن في لغة إنجيل يوحنا وقد قصدتها الإنجيلي. ولكنه أعطى إشارات يفهمها الذين كُتبت لهم والقارئ. ولكن يجب أن يفهم الدارس أين تكمن هذه الطبقات وفي أي جزء من الإنجيل فعل الكاتب ذلك. ويعرف كيف يكون حريصاً في تفسيره. فإنه لا يمكن أن يرجع التفسير إلى ما كان عليه عند الآباء والعصور الوسطى. ويذكر هـ. أ. كندي^١. أن هناك بعض الأمكنة التي نجد فيها هذه المعاني التي تكمن في طبقات في بعض أجزاء الإنجيل مثل:

- (١) وصف البشير لبعض معجزات المسيح التي يصفها كآيات.
- (٢) ربطه لهذه الآيات بالخطابات المتسعة حتى يمكنه أن يستخرج المعنى الروحي لها.
- (٣) الأقوال السرية الغامضة التي يقولها المسيح مثل (٢: ١٩ - ٢١).
- ٣: ١٥ و ٣: ٢٩. ٤: ١٨. ٣٥: ٦. ٥٣: ٧. ٥٤: ٧. ٣٨: ١٢. ٢٤: ١٣. ٨: ١٠.
- (٤) استخدامه تعبيرات لها معنيان (١: ٣٠. ٣: ٨ و ٣: ١٤. ٤: ١٠).
- ٥: ٢٥. ١١: ١١. ١٢: ٣٢).
- (٥) تفسيره للأمكنة تفسيراً رمزياً (٩: ٧).
- (٦) المعنى الداخلي لبعض الفقرات (١: ٤٦ - ٥١. ٤: ١٥ - ٢٦).

6- H. A. A. Kennedy, *Philo's Contribution to Religion*, Independently published, p. 46.

(٧) إشارات المتكررة إلى «التلميذ الذي كان يسوع يُحبّه» دون أن يشرح من هو.

في هذه الأمكنة يمكن للمفسر أن يرى بعض المعاني العميقة التي قصدها الكاتب نفسه وعرفنا بذلك في إشارات تصريحية وتلميحية. ولكن هذه لا تعطي للمفسر الإشارة لأن يرى في كل عبارة مجازاً وفي كل قصة رمزاً فيستخرج من النص معاني لا يحملها. بل هي من ثمرة قريحة المفسر فرضها على النص فرضاً eisgesis.

٢- التفسير الطقسي Sacramental Interpretation

هذا هو النوع الثاني من التفسير الذي طبقه كثير من المفسرين على إنجيل يوحنا. وهو التفسير الذي أثار عاصفة كبيرة من الجدل والذي لم ينته إلى الآن. والتفسير الطقسي أو كما يسمى بالإنجليزية Sacramental معناه أن هذا الكتاب كُتب في إطار الكنيسة وعبادتها ولذلك فهو يتكلم عن طقوسها سواء بالتلميح أو التصريح. بل لقد حاول أحد الكتاب أن يفسر الإنجيل في ضوء العبادة اليهودية وقسمه كقراءات كنسية تُقرأ في مناسبات عديدة في كل السنة^٧. ولكن بهذه الكيفية قد نستقري الإنجيل ونضع في نصوصه ما لا طاقة لها باحتماله. ولعل أول من دفعوا بهذا التفسير إلى الأمام هو أوسكار كولمان Oscar Cullmann في كتابه المترجم^٨ Early Christian Worship

7- Aileen Guilding, *The Fourth Gospel and Jewish Worship*, Oxford: Clarendon Press, 1960.

8- Oscar Cullmann, *Early Christian Worship*, Fort Myers, FL: Wyndham Hall Press, 1978

وفيه يظهر أن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الذي عبّر عن عبادة الكنيسة الأولى تصريحًا وتلميحًا.

إن هدف البشير من كتابة إنجيله وذكره لمجموعة من القوات التي عملها المسيح يسوع. ويسمى الإنجيلي آيات. هو خلق الإيمان في قلب الذين يرون والذي يسمعون ويكونون مستعدين لتقبل الإيمان (٢٠: ٢٩-٣١). وجوهر هذا الإيمان يتركز في أن يسوع هو المسيح ابن الله. ولكن السماع الظاهري والرؤيا الظاهرية لا تنفع كثيرًا. بل لأن الروح القدس هو الذي يخلق الإيمان من خلال هذه الرؤيا والسماع في قلوب الذين يرون ويسمعون. ويقول كولمان إن العبادة كذلك في الكنيسة كان لها هدف جوهري وهو بناء جسد المسيح وخصوصًا في الطقسين Sacraments -العشاء الرباني والمعمودية. وإنجيل يوحنا له اهتمام خاص بخدمة العبادة. ليس لأن بعض فقراته تشير إلى ذلك. ولكن العبادة تُكوّن خطأ أساسيًا فيه. لأنه يريد أن يوضح أن هذه العبادة التي يكون فيها الرب حاضرًا فيها -وخاصة في العشاء الرباني والمعمودية- ترتبط أيضًا بحياة المسيح في الجسد. فالرب الذي يتحد فيها ويحضر معها هو نفسه يسوع التاريخي الذي عاش ومات وقام وصعد. الذي فيه قام الله بعمل الخلاص مرة واحدة (عبرانيين ٧: ٢٧). يسوع هذا هو نفسه الكلمة الأزلي والرب الأبدي الذي صنع مع الآب تدبير الخلاص الأكمل. هذا الارتباط يتضح للقارئ في خدمة العبادة في الجماعة. لهذا السبب يهتم الإنجيل بالعبادة ويربطها بحياة المسيح على الأرض. ويستخدم في ذلك بعض الكلمات التي لها معنيان. معنى حرفي مباشر ومعنى

رمزي عميق في نفس الوقت. والمعنيان لا ينفصلان. فكلمة الماء والخبز والخمر وغير ذلك لها هذان المعنيان لكي تعبر عن طريق ربط المعنيين بربط حضور الرب في كنيسته بحياة يسوع في الجسد. وخصوصًا في موته وقيامته.

ويذكر كولمان مجموعة من الحوادث التي يظهر فيها بكل وضوح الهدف العبادي أو الطقسي في حياة السيد: ففي حادثة المعمودية المسيح (يوحنا ١: ٦-٨ و ١٥ و ١٩-٣٤). عندما يذكر الإنجيلي شهادة المعمدان عن المسيا وعن المعمديته. لم تكن الشهادة تقتصر على ذلك العمل الذي قام به المعمدان في المعمودية المسيا بالماء، ولكن هذه المعمودية كانت تشير إلى المعمودية أخرى أكمل لها ارتباطها الأوفى بعملية الخلاص وهي المعمودية المسيح على الصليب. وعلى هذه المعمودية الأخيرة المعمودية المسيح في الصليب بُيِّتَت المعمودية المسيحية. ففي خدمة المعمودية يحضر الرب الذي هو نفسه المسيح الذي مات وقام من أجلنا. فمعمودية المسيح من يوحنا. ومعموديته على الصليب. وحضوره في خدمة المعمودية. كلها مرتبطة بعضها ببعض بخيط واحد.

وفي (٢: ١-١١) قصة عرس قانا الجليل. حيث حضر يسوع وتلاميذه عندما حول السيد الماء إلى خمر. فقد طلبت منه أمه العذراء أن يغيث هؤلاء المحتاجين فقال لها: «مَا لِي وَلكِ يَا امْرَأَةٌ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ» وما جاء في الإنجيل نفهم أن المسيح كان يقصد ساعة تمجيده أي ساعة صلبه وليس ساعة تحويل الماء إلى خمر. وحول السيد الماء الذي كان في

أواني التطهير اليهودية إلى خمر. ولكن هذا التحويل ارتبط بساعة مجد المسيح وموته. أي بساعة انسكاب دمه على الصليب. ومن هذا نعرف أن الخمر الذي يشير إلى العهد الجديد قد تحول من الماء الذي كان في أواني التطهير للعهد القديم. وهل ننسى قول السيد لتلاميذه أثناء إقامة العشاء الرباني «لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِغُفْرَةِ الْخَطَايَا.» (متى ٢٦: ٢٨)؟ إذا فعرس قانا الجليل كان يشير إلى دم المسيح المسفوك أي إلى العشاء الرباني.

وإذا كانت معجزة عرس قانا الجليل تشير إلى الدم في العشاء الرباني. فإن حادثة تطهير الهيكل تشير إلى جسد المسيح في العشاء الرباني. فهذه الحادثة جاءت في ترتيب هذا الإنجيل بعد أولى الآيات التي صنعها يسوع (٢: ١٢-٢٢) ويقول كولمان إن هذا الترتيب كان له هدف في عقل البشير فإنه أراد أن يُشير إلى جسد المسيح مباشرة بعد دمه في العشاء الرباني. فبعد أن أخرج السيد الباعة من الهيكل الذي فيه تقام العبادة. تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَهَنَةُ وَالْيَهُودُ طَالِبِينَ آيَةً مِنْهُ تَبِينُ أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. فقال لهم السيد: «انْقَضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ. وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ» ويذكر البشير أن يسوع قال هذا عن هيكل جسده. أي أن جسده حل محل الهيكل في إقامة العبادة لله. أي أن العبادة لم يعد لها مكان خاص الآن. ولكن في جسد يسوع المسيح الذي كسر على عود الصليب. والذي قال عنه السيد «جسدي المكسور عنكم...» في وقت العشاء الرباني (١ كورنثوس ١١: ٢٤). وهكذا نجد أن حادثة تطهير الهيكل كانت فيها وفي جوهرها عبادة الكنيسة لا في الهيكل. ولكن في جسد الرب المكسور في العشاء الرباني.

وهكذا يفسر كولمان محادثة المسيح مع نيقوديموس (٣: ١ - ٢١). وفيها إشارة إلى المعمودية ورفع الرب على الصليب لكي يكون حاضراً دائماً في كنيسته. ثم شهادة يوحنا الأخيرة (٣: ٢٢ - ٣٦) ومحادثته مع المرأة السامرية (٤: ١ - ٣) وشفاء المفلوج على بركة بيت حسدا (٥: ١ - ١٩) وفي معاملة السيد للسبت (٥: ١٧) وإشباع الخمسة آلاف بالخمس خبزات والسمكتين (٦: ١ - ١٣، ٢٦ - ٦٥) وفتح عيني الرجل المولود أعمى (٩: ١ - ٣٩) وغسل أرجل التلاميذ (١٣: ١ - ٢٠) وخطاب التوديع (١٣: ٣١ إلى إصحاح ١٧) والحربة في جنب المسيح على الصليب (١٩: ٣٤). كل هذه الحوادث والخطابات يذكرها يوحنا على أنها تشير إلى العبادة في مجتمع الكنيسة الأولى. ويذكر كولمان أمرين يعتبرهما في غاية الأهمية: الأول هو أن الإنجيل الرابع لا يذكر حادثة أو إشارة عابرة في حياة المسيح لكي تفسر تفسيراً طقسياً أو عبادياً، ولكنه يوضح تماماً أن هذا العنصر كان عميقاً وهاماً في حياته وعمله وموته وقيامته؛ ففي عبادة الكنيسة يرون المسيح الرب هو هو المسيح المتجسد. أما الأمر الثاني فهو أن كل هذه الحوادث لم تُثبّر بنفسها إلى حضور المسيح في كنيسته إلا بعد أن مات وقام من الأموات. هذه هي الحوادث التي أعطت المعنى العميق لحياة المسيح ولعبادة الكنيسة، فيوحنا يربط كل هذه الحوادث بالصليب بطريقة أو بأخرى لأنه يجد معناها العميق فيه.

وهكذا يفسر كولمان إنجيل يوحنا تفسيراً طقسياً أو عبادياً؛ أي أن فيه نجد عبادة الجماعة عميقة في حياة يسوع الأرضية وحوادثها التي تشير إلى عمل الفداء العظيم.

أما رموند براون فإنه يعطي حوالي ٢٥ مكانًا في إنجيل يوحنا تُفسَّر تفسيرًا طقسيًا. ما يدل على أنه يهتم كثيرًا بهذا التفسير.^٩ فكل مكان يذكر فيه إنجيل يوحنا الماء يعتقد كثير من هؤلاء المفسرين أنه يشير إلى المعمودية، وكل مكان يذكر فيه الطعام أو الخبز أو الخمر فيعتقدون أنه يشير إلى العشاء الرباني. أما المفسرون الكاثوليك فإنهم يزيدون على ذلك أنواعًا أخرى من الطقوس يرونها في إنجيل يوحنا. كتقديس العذراء الكلي الذي يرونها في قصة عرس قانا الجليل، وفي آخر الإنجيل في وجودها عند الصليب، ويقولون إن البشير إما أنه كان يضع الأساس لتقديس العذراء أو أنه يحاول أن يؤكد هذا التقديس الذي ظهر من قبل كتابة الإنجيل. وطقس التوبة الكاملة يرونها في قصة مسح قدمي السيد ودهنهما بالطيب (يوحنا ١٢: ١-٨).

إن هذا التفسير كأى تفسير آخر غير التفسير الحرفي الظاهري عرضة للمبالغة في كمية وجوده في الإنجيل، أو على النقيض من ذلك عرضة لإنكار وجوده بالمرّة في الإنجيل. فما هو المقياس الذي يستطيع به المفسر أن يعرف أي أجزاء من الإنجيل يمكن أن تُفسَّر تفسيرًا طقسيًا؟ بعد الدراسة وضع براون^{١٠} مقياسًا من عنصرين: أحدهما خارجي، وهو رأي الكنيسة الأولى إذا ما كانت قد فسرت هذا الجزء تفسيرًا طقسيًا أم لا. وهذا عنصر سلبي أي عدم اعتراف الكنيسة بهذا الجزء على أنه رمز لطقس يجعل المفسر حذرًا جدًّا في اعتباره كذلك. أما العنصر

9- Raymond E. Brown, *The Gospel According to John, Introduction and commentary*, 2nd Edition, Anchor Bible, 1966, P. CXI-CXIV.

10- Ibid, P. CXI-CXIV.

الثاني وهو العنصر الإيجابي. وهو إذا ما كان البشير نفسه يصرح أو يلوح على أن هذا الجزء هو رمز طقس. بهذا المقياس المزدوج يمكن أن يسترشد المفسر في تفسيره الطقسي لأجزاء من إنجيل يوحنا. وبذلك لا يتعرض للمبالغة أو للإنكار في ذلك كما سبق القول.

ويلاحظ الدارسون أن الإنجيل عندما يشير إلى أحد الطقسين - المعمودية أو العشاء الرباني - فإنه يشير إليهما بطريق الرمز أي أن الماء يرمز إلى المعمودية والخمر إلى دم المسيح. فلماذا لا يشير إليهما مباشرة دون استخدام الرمز؟ يلوح أن الكنيسة الأولى اعتبرت أن كلمات المسيح وأعماله هي في طبيعتها مثل أعمال الأنبياء ونبواتهم التي تمت في العهد الجديد: فلا بد أن أعمال السيد نفسه تتم وتظهر في الكنيسة وتحقق فيها. فكما أن حمل الفصح في العهد القديم حقق في السيد الذي هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم، فهكذا يجب أن يتحقق عمل السيد. إطعام وإشباع الآلاف في الشبع الروحي والشركة المقدسة في عشاء الرب. كما تحس بهما الكنيسة في العهد الجديد.

بقي سؤال آخر. وهو إذا كان الإنجيل الرابع يُفسّر طقسيًا هكذا وهو مهم كما يقول المفسرون من ناحية الطقسين - المعمودية والعشاء الرباني - فلماذا إذاً حذف هذين الحداثين من كتابه؟ لماذا لا تجد ذلك المنظر الموجود في إنجيل متى (٢٨: ١٩) إذ يرسل الرب المقام التلاميذ إلى العالم لكي يعمّدوا ويتلمذوا؟ ولماذا يحذف حادثة قيام الرب بعمل العشاء الرباني كما هو موجود في الأناجيل الثلاثة الأخرى؟ أما عن حذف منظر المعمودية فالأمر سهل لأن الإنجيليين الآخرين مرقس ولوقا يحذفان هذا

المنظر ولا يشك أحد أنهما ينكران المعمودية. أما حذف العشاء الرباني فهو أصعب كثيرًا من ذلك؛ لأن كل الأنجيل والرسول بولس يوردون هذا المنظر وهذه الحادثة فلماذا يحذفها الإنجيل الرابع؟ الحقيقة إذا تأمل المفسر جيدًا يجد أن البشير لا يربط المعمودية والعشاء الرباني بقول واحد عابر ولا بحادثة واحدة. يكفي أن تُذكر في بضعة أعداد قليلة. إنه يرى أن الطقسين مهمان جدًا في حياة السيد؛ ففي تصريحه وفي عمله الرمزي المتكرر نجد هذين الطقسين. إنهما يرتبطان ربطًا محكمًا بحياة يسوع في الجسد متاصلان في هذه الحياة بما فيها من قول وعمل. فكل نشاط يسوع وفكره له ارتباط بهذين الطقسين بطريقة أو بأخرى. وذلك يعطيها الأهمية القصوى في هذا الإنجيل.

٣- التفسير الحرفي الظاهري؛

عندما نقول التفسير الحرفي لا نعني أن كل تفسير من التفاسير التي ذكرت هو بديل عن الآخر؛ أي أن الذين يفسرون التفسير الطقسي لا يجدون ما يفسرونه حرفيًا في إنجيل يوحنا. فهذا شيء غير معقول. إلا في حال التفسير الحرفي فإنهم ينكرون وجود الإشارات الطقسية في الإنجيل الأصلي. ولعل أهم من دافع عن هذا التفسير الحرفي هو بولتمان في كتابه تفسير إنجيل يوحنا^{١١} وهناك من ينحون نحوه مثل بورنكام Bornkamm وإدوارد شويتزر وغيرهما. ويقولون إن الكتاب أصلًا كان ضد الطقسية على خط مستقيم. وليس هناك من تصريحات حقيقية توجد فيه عن المعمودية ولا عن العشاء الرباني. وقصته.

11- Rudolf Bultmann, *Gospel of St. John: A Commentary*, Louisville, Philadelphia, PA: Westminster/ John Knox Press, U.S.; 1971.

إقامة العشاء الرباني ولا قصة إرسال التلاميذ ليعقدوا غير واردتين فيه. ويقول بعض المتمسكين بهذا الرأي أن يوحنا عندما يتكلم عن الخلاص وعن قبول الإنسان هذا الخلاص بيسوع المسيح، فإنه يستخدم لغة تجعل القارئ يفهم تمامًا أنه يُبعد الأمور المادية المنظورة من هذا المجال؛ فلا مساعدة مرجوة منها. فالتنبيير الحقيقي في هذا الإنجيل يأتي على الكلمة وليس على الطقوس. لكن ماذا يقول أصحاب الرأي عن وجود الإشارات الصريحة عن العشاء الرباني والمعمودية؟ هل يمكن إنكارها وهي واضحة تمامًا؟ الحقيقة أنهم لا ينكرونها. ولكنهم يعزّون وجودها لشخص آخر هو المحرر الأخير للإنجيل Redactor الذي خرج من يديه الإنجيل كما هو الآن. فبعد أن انتهى البشير من كتابة الإنجيل، تبعه رجل آخر من رجال الكنيسة. حاول بكل إمكانه أن يعيد ترتيب الإنجيل كما أراده البشير بعد أن حدث فيه لسبب ما كثير من الخلل في الترتيب لكن هذا الرجل الكنسي ويسمونه المحرر كما سبق القول لم يستطع أن يعيد الترتيب كما كان من قبل. ولكن العمل الهام الذي قام به هذا المحرر هو أنه أراد أن يجعل الإنجيل كما خرج من يد البشير في كيفية كنسية مقبولة لدى الكنيسة. فالنسخة الأولى لم يركز فيها شيء عن المجيء الثاني ولا عن الطقوس. فكل ما فعله هذا المحرر هو أنه أضاف هذه الأشياء إلى الأصل فخرج الكتاب كما هو الآن. فكل الإشارات التي تشير إلى الطقوسين أضافها مثل (٣: ٥، ٦: ٥٨، ١٩: ٣٤ و ٣٥). وكذلك كل ما يشير إلى الإستخاتولوجي وإلى المجيء الثاني (٥: ٨ و ٢٩، ١٢: ٤٨) وبذلك أمكن للكنيسة أن تقبل إنجيل يوحنا لأنه أضحو متوافقًا مع الأناجيل الثلاثة الأخرى.

إذاً كان الإنجيل -كما يقول بولتمان- خاليًا من كل إشارات طقسية أو إستخاتولوجية. وكل ما فيه كان الكيرجما (أي الكرازة) المبنية على الكلمة فلا يمكن أن يُؤخذ في تفسيره إلا على ظاهره ويجب أن يفسر تفسيرًا حرفيًا ظاهريًا.

أما العلماء المحافظون فبعضهم ينكر هذه الإضافات ويعتبرها من أصل الإنجيل خرجت من يد البشير. وبعضهم يعترف بها. ولكنه يقول «أليست هذه الإضافات لكي تضع الفكر اللاهوتي لهذا الإنجيل في وضوح أكثر؟ إن الإنجيل فيه إشارات أخرى كثيرة تشير إلى الطقسية ولا يمكن إنكارها. أما هذه الإشارات التي أضيفت -إن كانت قد أضيفت حقيقة- فهي لكي تجعل هذه الإشارات أكثر وضوحًا وقبولًا لدى كل قارئ كنسي.

ولكن مع وجود هذه الإشارات والرموز الطقسية فإن التفسير الحرفي لا يزال هو الأساس في تفسير الإنجيل وكلما بنى المفسر تفسيره على الظاهري فإنه يسير في الخط الصحيح مع الأخذ في الاعتبار وبكل حذر أن يشير ويفسر إلى الإشارات والرموز الطقسية التي يشير إلى أحد الطقسين أو إليهما معًا.

الباب الثالث

هل الإنجيل الرَّابِع وثيقة جماعة خاصة تتبع التلميذ الذي كان يسوع يُحِبُّه؟

من أهم الدراسات في تاريخ المسيحية هي التي تبحث في حياة المسيحيين والكنيسة المسيحية في السنوات الثلاثين أو الأربعين الأولى بعد قيامة المسيح. فمع أن المراجع التي لدينا لتلك الفترة ليست شيئًا يُذكر إلى جانب العهد الجديد وخاصة سفر الأعمال إلا أنه أمكن للدارسين أن يقرؤوا فيما بين السطور. ويقول هؤلاء الدارسون إننا لا نستطيع أن نفهم الكنيسة ولا كيف نمت إذا قلنا إنها كانت كنيسة واحدة أو جماعة واحدة. بل كانت هناك جماعات متعددة داخل هذه الكنيسة. فنحن نقرأ عن الكنيسة في اليهودية التي بدأت بوجود رسل الرب وامتدت في يوم الخمسين. ونقرأ عن الكنيسة في دمشق (أعمال ٩: ٢). ثم هناك كنيسة الأمم التي بشَّرها الرسول بولس. وهناك جماعة اليهوديين الذين كانوا يتبعون يعقوب. والذين سبَّبوا اضطرابات كثيرة في الكنائس التي بشَّرها الرسول بولس (أعمال ١٥: ١). غلاطية

٢: ١١ و ١٢). ومن دراسة رسالة العبرانيين يستطيع الدارس أن يعرف أنها وَّجَّهت إلى جماعة خاصة كانت تسود فيها روح الارتداد عن المسيحية إلى اليهودية مرة أخرى. وقيل عنهم إنهم جماعة من الكهنة واللاويين انغلقت على نفسها. وغير ذلك فإنه بعد حوالي ٥٠ م. لم نعرف شيئاً عن باقي الرسل هل بقوا في أورشليم أم ذهبوا لبشروا كما فعل المسيحيون من أصل هيليني كفيلبس الذي بشر السامرة (أعمال ٨: ٥)؟ وعلى هذا القياس يقول كثيرون من الدارسين المعاصرين إن إنجيل يوحنا هو إنجيل يخص جماعة خاصة نقرأ فيه تاريخها وتفكيرها. بل وكيف تكونت. فلم يُكْتَب أصلاً إلى الكنيسة الجامعة. بل كان يُقصد به هذه الجماعة. بل وتظهر فيه طبقات تفكير هذه الجماعة في مراحل تطورها الفكري اللاهوتي وتطورها الاجتماعي. ويقول الدارسون إنهم يستطيعون تحليل هذه المراحل الفكرية والاجتماعية لكي يعرفوا ماذا حدث وكيف حدث هذا التطور والتغيير.

ولكن كيف يمكن أن يكون هذا والإنجيل يختص بالكلمة الذي تجسد وصار بشراً أو جسداً (١: ١٤) ألم يُكتب لتذكر فيه أهم آيات يسوع وخطاباته لكي يعرف القارئون أو السامعون أن يسوع هو المسيح ولكي تكون لهم حياة إذا آمنوا به (٢٠: ٣١)؟ فكيف يمكن أن يكون قد كُتِبَ لجماعة؟ لو قيل إنه كُتِبَ لهم لكي يُعَرِّقَهُم عن يسوع لكان هذا مقبولاً. بل ولكان هو الموقف الطبيعي. أما إنه سيجلّ حياة جماعة. فكيف يكون ذلك؟ من الواضح في إنجيل يوحنا أن أشياء كثيرة حدثت في حياة السيد لم يستطع التلاميذ أن يفهموها. ولكنهم تذكروها

وفهموها بعد أن قام من الأموات وجاءهم الروح القدس (يوحنا ٢: ٢٢، ١٣: ٧) ومن البديهي أنهم يتذكرون هذه الحوادث الماضية عندما تقابلهم ككنيسة مواقف ماثلة للمواقف التي واجهت السيد. ومن الواضح أنهم يتذكرون كيف تصرف السيد وكيف واجه هذه المواقف. ولقد ساعد الروح القدس الكنيسة على فهم مواجهة السيد بعمق. فعرفوا روحها وتصرفوا مثلها. وهكذا ظهرت تقاليد حياة السيد ومواقفه مُفسَّرةً في مواقف كنسية ماثلة واجهت الكنيسة. وعلى ذلك فإننا نجد في كتابات الأناجيل مرحلتين: المرحلة الأولى هي التي واجهت السيد، والمرحلة الثانية هي مرحلة ما بعد القيامة وفهم التلاميذ لها وتطبيقها على المواقف الماثلة لها. وليس من السهل تحليل هاتين المرحلتين. ولكن التدريب على ذلك والتعمق الجاد الجاهد يعطي للدارس الإشارات على تمييز المراحل المختلفة التي يسميها العلماء «طبقات التقليد Tradition Layers» وعلى هذا الأساس استطاع المفسِّرون أن يتبينوا المراحل المختلفة في حياة المجتمع الذي يسميه بعض الأساتذة «مجتمع التلميذ الذي كان يسوع يحبه»^{١٢} ويسميه آخرون «دائرة يوحنا»^{١٣}. ولكن هل هناك من الشواهد التي يحملها الإنجيل الرابع تدل على أنه يعكس حياة جماعة خاصة تطورت في تفكيرها وحياتها الاجتماعية. نعم هناك بعض الشواهد لاحظها الدارسون منها:

12- Raymond E. Brown, *The Community of the Beloved Disciple: The Life, Loves and Hates of an Individual Church in New Testament Times*; Mahwah, NJ: Paulist Press. 1978.

13- Oscar Cullmann, *The Johannine circle*, Philadelphia: The Westminster Press, 1976

(١) يظهر في الإنجيل نوع من تفكير الجماعات التي خُشَّ بشخصيتها الذاتية وبتفكيرها المستقل عن الغير، وتنظر إلى الغير في ضوء هذا التفكير فتحكم عليه بحسب النمط الذي تسيّر عليه. فهناك «العالم» الذي هو العدو الذي أبغض المسيح وأبغض من له. وهناك «اليهود» وهؤلاء اليهود يُقسّمون إلى فرق. فمنهم اليهود الذين كانوا يعارضون السيد ويحاولون أن يسقطوه في الفخ ويوقعون به ليهلكوه (يوحنا ٢: ١٨، ٥: ١٠، ١٨ ... إلخ). وهناك اليهود الذين آمنوا به، ولكنهم لم يكونوا ثابتين فلم يستأمنهم على نفسه مع أنهم رأوا الآيات التي صنعها (يوحنا ٢: ٢٣-٢٥، ٦: ٦٦) ومنهم من آمن به وصار له (١١: ٤٥). إن هذا التقسيم والحكم يُظهر تفكير جماعة أو فرقة خاصة Sect لها تفكيرها الخاص.

(٢) الموقف الخاص بهذا الإنجيل في دعوة التلاميذ الأوائل. ففي الأنجيل الثلاثة الأولى نجد أن يسوع هو الذي دعا التلاميذ الأوائل وهو الذي وجدهم. فالجيل مرقس يقول: «وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «هَلُمَّ وَرَآئِي فَأَجْعَلُكُمْ تَصِيرَانِ صَيَّادِي النَّاسِ». فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا شَبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ. ثُمَّ اجْتَاَزَا مِنْ هُنَاكَ قَلِيلًا فَرَأَى يَعْقُوبَ بَنَ زَبْدِي وَيُوَحَنَّا أَخَاهُ، وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصَلِّحَانِ الشَّبَاكَ. فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ. فَتَرَكََا أَبَاهُمَا زَبْدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الْأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ» (مرقس ١: ١٦-٢٠). وهذا ما يورده الإنجيلان الآخران. أما في إنجيل يوحنا فالموقف يختلف. إن التلاميذ الأوائل هم الذين وجدوا يسوع. فقد

تبعه أندراوس وتلميذ آخر (العله التلميذ الذي كان يسوع يحبه لأنه لم يفصح عن اسمه) بعد سماعهما شهادة يوحنا المعمدان عنه. أما أندراوس فقد أتى بأخيه سمعان مباشرة إلى يسوع. وفي الحال قبله يسوع وغيّر اسمه، وفيلبس وجد نثنائيل فأتى به إلى يسوع وكان بينهما هذا الحوار السامي. ولم يشذ عن ذلك النمط إلا فيلبس الذي قيل عنه إن يسوع وجده (يوحنا ١: ٣٥ - ٥١). إلى جانب ذلك نلاحظ شيئاً آخر وهو كثرة الألقاب التي ذكرها التلاميذ الأوائل على المسيح. فهو «المسيا» (يوحنا ١: ٤١) وهو «النبي» الذي أشار إليه موسى وكان اليهود ينظرونه (ع. ٤٥) وهو «ابن الله» (ع. ٤٩) وهو «ملك إسرائيل» (ع. ٤٩). ونلاحظ هنا أن هذه الألقاب عرفها التلاميذ بعد القيامة. ولم يعترف منهم إلا بطرس أنه «المسيح» متأخراً في قيصرية فيلبس قبل الصلب والقيامة. وهي المرة التي قال له السيد إن الأب هو الذي أعلن له (متى ١٦: ١٦). ولكن لقب النبي كما ذكره موسى فقد قيل بعد القيامة (لوقا ٢٤: ٢٧، أعمال ٣: ٢٢، ٧: ٣٧). من هذا كله يتضح أن هذا التفكير وهذه الكيفية التي يجد فيها الناس يسوع ويفتشون عنه. تصف جماعة سمعوا عن يسوع فدرسوا وفتشوا وقبلوه وأسبغوا عليه الألقاب التي ظهر معظمها بعد القيامة. إنه تفكير جماعة بُني على موقف مناظر له في حياة السيد. ولكنه الآن يعبر عن فكر هذه الجماعة.

(٣) في هذا الإنجيل نجد نوعين من «عقيدة المسيح» الكريستولوجي Christology. العقيدة الأقل التي لم تصل إلى مرتبة الألوهية إلى جانب العقيدة السامية التي لم يصل إلى سموها أي كاتب آخر في العهد

الجديد حتى الرسول بولس نفسه. فقد رأينا سابقًا هذه الألقاب التي نسبها التلاميذ الأوائل إلى يسوع الناصري: المسيا، ملك إسرائيل، ابن الله، النبي. وهذه الألقاب الكريستولوجية هي الأقل. فكلها مازالت خوم في البشرية حتى لقب «ابن الله» الذي كثيرًا ما نظنه يسمو إلى الألوهية. يظهر في هذا الموقف إلى جانب ملك إسرائيل والنبي، على أنه يعني ممثلًا لله أو شخصًا يتكلم ويمثل الله مثل الملك تمامًا. فهذه الألقاب ليست هي الألقاب السامية. لكن إلى جانب ذلك نلاحظ الألقاب السامية فمثلًا نجد «الكلمة» اللوغوس وهي تأتي في مقدمة الإنجيل التي كتبت متأخرة بعض الشيء عن كثير من التقاليد التي فيه. ثم تأتي كلمة «المسيا مخلص العالم» (يوحنا ٤: ٤٢) فهنا يصبح المسيا أو المسيح كونيًا أي للعالم كله وليس لليهود فقط. نجد أيضًا قول يسوع: «لَا يَقْدِرُ الْابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْظُرُ الْآبَ يَعْمَلُ». (يوحنا ٥: ١٩) ثم «لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لَأَعْمَلَ مَشِيتِي، بَلْ مَشِيتَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». (١: ٣٨) ثم «لَأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي». (١٤: ٢٨) هذه إلى جانب قوله: «أَنَا وَالْآبَ وَاحِدٌ» (١٠: ٣٠) وقوله: «لَأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي دَانِهِ، كَذَلِكَ أَعْطَى الْابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي دَانِهِ» (٥: ٢٦) وهكذا. وهذا يدل على أنه قد حدث تطور في تفكير هذا الإنجيل أو هذه الجماعة التي كتبت لها هذا الإنجيل. وهذا ما قاله السيد لثنائيل عندما قال له: «هَلْ أَمَنْتَ لَأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ حَتَّى التَّيْنَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا!» (يوحنا ١: ٥٠).

أصل الجماعة وتطورها

نأتي الآن إلى السؤال الهام: ما هو أصل هذه الجماعة. من أين أتت؟ وكيف وإلى أي مدى تطورت فكريًا واجتماعيًا؟ غالبية العلماء الذين يتمسكون بهذه النظرية يضمنون رسالة يوحنا الأولى إلى الإنجيل في هذا الأمر لأنها -أي الرسالة- تعكس بقوة انقسامات حادة في هذه الجماعة. ومتى وضعوا الكتابين معًا فإنهم يقسمون تاريخ هذه الجماعة إلى أربع مراحل سوف ندرس كلًّا منها على حدة.

المرحلة الأولى: مرحلة التكوين

(أ) بدأت هذه الجماعة عندما جاء جماعة من اليهود ليعرفوا عن يسوع شيئًا فعرفوا وآمنوا به. ويعبر الإنجيل عن مجيئهم بمجيء أندراوس وبقية التلاميذ الباقين في (يوحنا ١: ٣٤ - ٥١). فلم يكن هناك أي فارق بين هذه الجماعة وبقية الكنيسة في اليهودية التي تكونت من يهود عاديين آمنوا بيسوع. وما يدل على الأصل الواحد بين هذه الجماعة وباقي الكنيسة هو أن عقيدتهم في المسيح كانت تشابه عقيدة الكنيسة الأولى؛ أي أن المسيح هو المسيا والنبى وملك إسرائيل أي من نسل داود. ولكن هنا نقول إن هذه الجماعة لم تقف عند هذا الحد. بل رفعت عقيدتها في المسيح خاصةً عندما يقول السيد لثنائيل: «سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا!».

وهناك تشابه آخر بين هذه الجماعة وبقية الكنيسة. وهو أن الآيات التي تُذكر في يوحنا هي آيات أُخذت من التقليد الذي أخذت عنه الأناجيل

الأخرى. فشفاء المريض والأعرج والأعمى، وتكثير الأرغفة وإقامة الموتى كلها تُكوّن جوهر الآيات في إنجيل يوحنا، ومثلها موجود في الأنجيل والفرق الوحيد بينهما هو أن يوحنا يَبني على المعجزة حوارًا أو خطابًا لاهوتيًا يفسر على أساس المعجزة معنى المسيح. وحتى الخطابات التي في الإنجيل الرابع جُدت تلخيصًا لها في الأنجيل الثلاثة. فمثلاً (يوحنا ٦: ٥٣-٥٨) عندما يقول السيد في افتتاحية هذا الجزء: «وَالْحُبْرُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» جُدت قبلها في (الوقا ١٩: ٢٢) «هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَذَلُ عَنْكُمْ» وفي (يوحنا ٣: ٥) «... إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ». يشابه قوله في متى ١٨: ٣ «إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْوَلَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ».

ولكن إذا كانت كل الفرق الكنسية الأخرى قد ربطت نفسها بأحد الرسل مثل يعقوب وبطرس وبولس وفيلبس (السامرة) فبمن ارتبطت هذه الجماعة؟ إن الشخص العظيم الذي وراء هذه الجماعة هو «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» الذي كان واحدًا من جماعة يسوع. ولكنه لم يذكر اسمه أبدًا، ولا يمكن أن يكون هذا الشخص خيالًا - كما ظن بعض العلماء - وهو الشخص الذي كان ينافس بطرس بل وأقرب إلى السيد منه، فهو الذي رأى وشهد ويعلم الكاتب أن شهادته حق (٢١: ٢٤). ويلوح أنه هو التلميذ الثاني الذي كان مع أندراوس فكان تلميذًا ليوحنا المعمدان. وترك معلمه وذهب إلى يسوع. ولكن هل كان هذا التلميذ واحدًا من الاثني عشر؟ يقول النقات من الأساتذة إنه لم يكن

هل الإنجيل الرابع وثيقة جماعة خاصة تتبع التلميذ الذي كان يسوع يُحبُّه؟ ٦١

واحدًا منهم. ولم نعرف من الأناجيل الأخرى أن تلميذًا آخر من الانثني عشر كان متقدمًا عن سمعان بطرس إلى السيد. فكلهم قد تفرقوا عند الصليب، ولم يبقَ إلا التلميذ الذي كان يسوع يحبه (يوحنا ١٩: ٢٦، ٢٧). وهو الذي ائتمنه السيد على العذراء أمه. ويقول كولمان عنه: «كان تلميذًا سابقًا ليوحنا المعمدان وبدأ يتبع يسوع من أيام اليهودية الأولى عندما كان يسوع قريبًا من المعمدان. وقد شارك يسوع حياته في آخر أيامه في أورشليم، وكان معروفًا عند رئيس الكهنة. وكانت صلته بيسوع تختلف عن صلة بطرس المثل للثاني عشر»^{١٤}.

ب) في الإصحاحين الثاني والثالث من إنجيل يوحنا لا نجد فارقًا بين ما فيه وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى كما سبق أن ذكرنا شيئًا من ذلك. وقد نضيف الآن إلى جانب ما ذكر مثلاً رد يسوع على أمه في يوحنا ٢: ٣ و٤ يشابه ما جاء في لوقا ٤٨: ٤٩، مرقس ٣: ٣١-٣٥، تطهير الهيكل موجود في كل الأناجيل. مجيء نيقوديموس رئيس اليهود إليه يشابه مجيء الرئيس ليسأل عن الحياة الأبدية (لوقا ١٨: ١٨). عدم مقدرة تلاميذ يوحنا أن يفهموا عمل يسوع في يوحنا ٣: ٢٢-٢٦ يشابه إرسال يوحنا تلميذه ليسأل: «هل أنت هو أم ننتظر آخر؟» (لوقا ٧: ١٨-٢٣). هذا يعني أن الإصحاحين الثاني والثالث لا يختلف فيهما يوحنا عما جاء في الأناجيل الأخرى. ولكن الاختلاف يظهر عندما نأتي إلى الإصحاح الرابع وصلة المسيح بالسامرة بما لا نقرأ شبيهًا له في الأناجيل الأخرى. وقد كانت السامرة بعيدة عن إرسالته يسوع. حتى أنه قال لتلاميذه: «إلى

طَرِيقُ أَيْمٍ لَا تَمُضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا...» (متى ١٠: ٥). ولم نسمع من لوقا عن دخول السامرة إلى المسيحية سوى عن طريق فيلبس المبشر (أعمال ٨: ١-٢٥) وكان ذلك بعد قيامة السيد بمدة غير قصيرة.

يقول العلماء كل ذلك لأنهم لاحظوا أنه بعد الإصحاح الرابع بدأت «عقيدة المسيح» أو الكريستولوجي تتحول إلى السمو والارتفاع وبدأ المسيح يكون مخلصًا للعالم. وقد ربط هؤلاء العلماء بين دخول بعض السامريين في زمرة تلاميذ المسيح. وبين هذا التحول في العقيدة. وفسروا ذلك بأن من بين جماعة يوحنا كان هناك فريق من اليهود الهيلينيين الذين لم يكونوا مخلصين للهيكل (١٣: ١-١٥). هؤلاء رحوا جماعة من السامرة وضموهم إلى جماعتهم. وأخذوا من عقيدتهم في المسيا على أنه مخلص العالم وسموا بعقيدتهم عن المسيح. وبدأ الكريستولوجي السامي الموجود في إنجيل يوحنا يظهر في تلك الفترة. مع أن الجماعة لم ترد أن تنفصل عن اليهود. يبرهن براون على ذلك بما قاله السيد للمرأة السامرية إنه لا يمكن أن يُعبد الله على جبل جرزيم، ولا في أورشليم. ومع ذلك فهو يؤكد أن الخلاص من اليهود. وهنا تظهر عقيدة الكريستولوجي العالي «المسيح مخلص العالم» فينفصل عن التراث الداودي أي أنه ابن داود^{١٥}.

15- Raymond E. Brown, *The Community of the Beloved Disciple*, P. 36- 40

إذاً أضحي تكوين الجماعة في هذه الفترة الجديدة من المرحلة الأولى: اليهود المسيحيين واليهود ضد الهيكل الدين ربّحوا جماعة من السامرة. وقد نتج عن هذا التطوُّر ثلاثة أمور هامة:

(١) الصراع مع اليهود: إذ بدأ اليهود يتشككون في جماعة يوحنا هذه: إذ ضمت هذه العناصر المتطرفة، واتخذ الصراع ناحيتين: الطرد من المجمع إذ طُردوا، وهذا جُده في قصة الرجل المولود أعمى (يوحنا ٧: ٢٢)، والناحية الثانية القتل وجُده في سفر الأعمال قتل عددٍ من المسيحيين مثل إستفانوس على يد اليهود (أعمال ٧: ٥٨ - ٦٠) ويعقوب بن زبدي (أعمال ١٢: ٢ و ٣) ويعقوب أخي الرب كما يذكر يوسيفوس ذلك، وفي هذه الفترة بدأ لقب «اليهود» يدل على الأعداء الذين يبحثون لعلمهم يقتلون المسيح أو المسيحيين. وفي هذه الفترة يمكننا أن نقرأ عن طبقتين في التقليد: تلك التي تختص بالمسيح، والتي تختص بجماعته: فقد جاز الاثنان هذين النوعين من الاضطهاد.

(٢) أما النتيجة الثانية لجيء السامريين هو أنهم أعطوا الجماعة أو مفكرتها العناصر التي بنوا عليها الكريستولوجي السامي. ففي قول المرأة السامرية: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيحًا. الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ. يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَلِكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ» (يوحنا ٤: ٢٥). من المعروف أن السامريين لا يعترفون بالمسيا ابن داود لأن كل تاريخهم هو ضد أسرة داود. ولذلك فلم يُذكر اسم «مسيا» عند السامريين إلا في القرن السادس عشر. بل كانوا يقولون عن معلمهم «التائب» أو الذي يرجع ويعلم الناس. فأخذت

جماعة يوحنا هذا العنصر ورفعت عقيدتها في المسيح من المسيا ابن داود إلى المسيا مخلص ومعلم العالم. ولهذا في إنجيل يوحنا معنيان للمسيا: معنى فيه الكريستولوجي الأقل سموًا، وهو الذي كان على فم أندراوس عندما قبل يسوع وعلى فم مرثا (في ١١ : ٢٧ و ٤٠). وهنا الكريستولوجي العالي وهو الذي يعلنه في آخر الإنجيل في (٢٠ : ٣١). وكاتب الإنجيل يقول لنترك هذا المستوى الأقل الذي يتمسك به الذين لم يفهموا بعد ونتمسك بالمستوى الأعلى.

على أن هناك عنصرًا آخر جاء به السامريون. وهو عنصر موسى الذي يعتقدون أنه هو الذي رأى الله وجاء بالناموس. فأخذت الجماعة هذا وحولته إلى السيد بسمو أعظم، أنه هو الذي رأى الأب وهو الذي يعلنه وليس موسى. ومن هذين العنصرين استطاعت جماعة يوحنا أن تبني الكريستولوجي الذي يُعتَبَرُ أسمى عقيدة العهد الجديد عن المسيح -أسمى حتى من عقيدة الرسول بولس. وفي تلك الفترة صار المسيح هو الكلمة، وهو الذي كان عند الله. وهو الله. وهو الأب واحد. وهو الذي يقيم الموتى... إلخ. فهل يقبل اليهود ذلك؟ إن الذي يرفع نفسه إلى مستوى الله هو لوسيفر. فماذا فعلت جماعة يوحنا غير أنها جعلت من يسوع لوسيفر؟ وماذا تستحق غير الطرد من المجمع ثم الإعدام؟ هنا أيضًا نرى طبقتين من التقليد في حياة يسوع وفي حياة جماعة يوحنا.

٣) حدث أيضًا ثالثًا تطور هام في التفكير اللاهوتي العام لهذه الجماعة. فلم تعد هذه الجماعة من اليهود، ولم يعد اليهود شعب الله لأنهم رفضوا المسيح «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ. وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ.» (١ : ١١)

ولهذا فلا يوجد في إنجيل يوحنا ما جاء في (متى ١٠: ٥ و ٦) أن التلاميذ يذهبون لخراف بيت إسرائيل فقط. لقد انتهى أمرهم الآن. وانتهى إلى الأبد وليس كما قال الرسول بولس إن هدفه من تبشير الأمم هو إغارة اليهود لكي يرجعوا (رومية ١١: ١٣ و ١٤). فاليهود الآن ليسوا شعب الله. بل هم أولاد إبليس (٤: ٤٤ و ٤٧). لقد أخطأوا فرفضوا يسوع وسوف يموتون في خطاياهم (٨: ٢٤، ٩: ٤١). أما شعب الله الحقيقي هو من يستنير بإعلان يسوع (يوحنا ١: ١٣ و ٤٧). وليس اليهود فقط. بل حتى أعيادهم ونظمهم الدينية والاجتماعية أصبحت بلا معنى لهؤلاء الذين صاروا ليسوع. فخيمة الاجتماع قد انتهت وحل مجد الرب في يسوع (١: ١٤). ومجد العهد الذي كان يظهر في محبة الرب ورحمته قد انتهى وظهرت هاتان البركتان في يسوع (١: ١٤). لقد أتى موسى بالناموس «أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ صَارًا» (١: ١٧). الهيكل يزول وجاء بدلًا منه هيكل جسد يسوع (٢: ١٩ - ٢١). جاء الوقت لانتهاء العبادة في أورشليم (٤: ٢١ - ٢٤). في كل مرة كان يسوع يذهب إلى العيد في أورشليم كان يقول قولًا أو يعمل عملًا يدل على زوال هذا العيد (يوحنا ٥: ١٠ - ١٠). فالابن يعمل في يوم الراحة (٥: ١٧). في عيد المظال حيث يُصَلُّون لأجل المطر أصبح يسوع هو ينبوع الارتواء للعطشان (٧: ٣٧ و ٣٨). إذا كان عيد التجديد يُعَيَّد فيه بتجديد الهيكل فيسوع هو الذي كرسه الرب وأرسله (١٠: ٣٦).

وعلى هذا كله بنيت فكرة الإستخاتولوجي الذي خُلق في يوحنا؛ فيسوع قد جاء وجاءت الحياة الأبدية. والدينونة قد صارت على الذين

لا يؤمنون (٣: ١٣، ١٧ - ٢١). «إِذَا لَا مَوْتَ الْآنَ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَأَمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ» (١١: ٢٦). ولهذا فهذه الجماعة ليست جماعة يتامى سيدها غائب، بل قد جاء سيدها إليها (١٤: ١٨).

وهنا قد يلاحظ القارئ أن هناك تناقضًا بين تفكير الجماعة الأولى وتفكيرها الثاني. وفي نفس الوقت لم تتخرج هذه الجماعة من ترك الاثنين جنبًا إلى جنب. فالعقيدة السامية في المسيح إلى جانب العقيدة الأقل، الإستخاتولوجي الذي تحقق إلى جانب الإستخاتولوجي الذي لم يتحقق بعد. المفهوم الطقسي للعبادة والحقيقة إلى جانب أجزاء كثيرة من الإنجيل لا تهتم بالطقوس ولا بالنظم الدينية. وقد أراد كثير من الدارسين أن يخلصوا من هذا الإخراج. فنسبوا الوجه الثاني إلى يد أخرى إضافته بعد ذلك. ولكن هذا لا يحل المشاكل. إن الأمر يكمن في الجماعة التي تطور تفكيرها. ولكنها لم تهجر هذا التفكير. بل طورته. فالكريستولوجي السامي مبني على الآخر. فمثلاً يقول نثنائيل: أنت المسيح. هذا كريستولوجي أقل وفي آخر الإنجيل نجد الكاتب يقول: «.. لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ...» هذا إستخاتولوجي سامٍ مبني على نفس الكلمة. فالجماعة لم تهجر عقائدها. بل طورتها وتعمقت في مفهومها وظهر مفهومها السامي الثاني.

وفي آخر هذه المرحلة الأولى يضيف براون جماعة أخرى إلى جماعة يوحنا هي جماعة الأمم. أي عناصر أُمية دخلت إلى هذه الجماعة. ويبنى رأيه هذا على عدة أمور: الأمر الأول هو ترجمة الألفاظ المألوفة عند اليهود مثل ربوني أو المسيا. ثم يرى أن الإنجيلي عندما يربط مجيء

اليونانيين إلى المسيح بالجزء الذي أخذ من إشعياء الذي بيّن فيه قساوة اليهود. تكون هذه علامة على دخول الأمم إلى الجماعة بعد أن طُرِدَت من الجمع. ولم تنظر إلى نفسها على أنها يهودية. بل هي جماعة المسيا الذي هو مخلص العالم. ولم يحدث هناك صراع على قبول الأمم كما حدث مع الرسول بولس.

المرحلة الثانية: كتابة الإنجيل

صلة الجماعة بالذين هم من خارج

ظهر أن جماعة يوحنا تكونت من عناصر كثيرة وآخرها من الأمم. وهذا يدل على أنها أصبحت حركة عالمية تقريبًا. ولا بد أن تكون هكذا عندما نقول: «لأنَّه هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ...» (١٦ : ٣). ولم يكن هناك صراع في داخلها في المرحلة الأولى كما يظن البعض ولكنها كانت جماعة شعارها المحبة. لكي تُظهر أنها جماعة المسيح. فإذا كانت كذلك فماذا كان موقفها من الذين هم من الخارج؟

١- **العالم:** كنا ننتظر أنه بعد مجيء بعض الأمم إلى جماعة يوحنا أن تكون هناك صلة بين العالم وهذه الجماعة. ولكننا نرى شيئًا آخر. وهو أن العالم صار العدو الثاني للمؤمنين. فيسوع جاء دينونة على العالم (٩ : ٣٩، ١٢ : ٣١) فهم أبناء الظلمة (١٢ : ٣٥، ٣٦). وهدف العالم ضد هدف المسيح (١٦ : ٢٠، ١٧ : ١٤ و ١٦، ١٨ : ٣٦) فالعالم يكره يسوع وأتباعه (٧ : ٧، ١٥ : ١٨ و ١٩، ١٦ : ٢٠) ولذلك لا يصلي يسوع لأجل العالم (١٧ : ٩) لكنه يغلب العالم (١٦ : ٣٣) ويطرد رئيس هذا العالم ويدينه

(١٢: ٣١، ١٤: ٣٠). العالم هنا لا يعني اليهود. فقد رأينا عداوة اليهود في (١٢: ٥). ثم نرى عداوة العالم في (١٤: ١٧). أي عند كتابة الإنجيل. فبعد أن خرجت الجماعة من المجمع توجهت إلى العالم. ولكنها وجدت أيضًا قساوة العالم الشديدة. وأصبح العالم محطًا لكراهية المسيحي (أيوحنا ١٥-١٦). ولأن يسوع رُفض من خاصته ومن العالم. فقد صار غريبًا ليس من هذا العالم (١٥: ١٨ و١٩). ولذلك فجماعة يوحنا غريبة عن العالم ومركزها أيضًا في السماء (١٤: ٢ و١٧: ٢٤).

هل هذا حدث عندما كانت الدولة الرومانية ضد المسيحيين؟ يقول براون إن كتابات يوحنا لا تدل على ذلك. إنه لم يحن الوقت بعد لمواجهة شديدة كهذه. لكن اليهود كانوا يحملون الفتنة إلى الرومان ضد أفراد مسيحيين فيقتلون. هذا يعلمنا ألا نكون بسطاء فنظن أن العالم سيجري وراءنا عندما نبشره بالإنجيل. لتكن فينا روح الإرسالية. ولكن بحكمة.

٢- اليهود: مع أن الجماعة طردت من المجمع حضورًا ولاهوتيًا. إلا أنها عاشت في أمكنة بها مجامع وأضحت العداوة باقية وواضحة. ويتضح من سفر الرؤيا أن هناك مجامع شريرة في آسيا الصغرى في سمرنا وفيلادلفيا (رؤيا ٢: ٩، ٣: ٩). فإذا كان هناك إشارات كثيرة إلى اليهود فهل كُتِبَ الإنجيل الرابع لكي يبشر اليهود؟ براون يرفض ذلك ويقول إن هذه الإشارات الكثيرة وهذه المجادلات والمحاولات ليبرهنوا أن يسوع هو المسيح من العهد القديم تركزت في السبب وفي الناموس ونبوّة يسوع. ولكن بالأكثر لاهوت المسيح. هذه الإشارات موجودة ليس لتبشير اليهود.

هل الإنجيل الرابع وثيقة جماعة خاصة تتبع التلميذ الذي كان يسوع يُحبّه؟ | ٦٩

ولكن لكي تُظهر للغير لماذا ترك هؤلاء الجمع وخاصة لأولادهم لكي ينعوهم من الارتداد. ثم لكي يحاولوا أن يجعلوا أولئك المؤمنين بيسوع. ولكنهم يخفون أمرهم لئلا يُطردوا من الجمع يُعرفون علنًا ويعلنون إيمانهم بكل شجاعة. ولكن الحركة التبشيرية لعلها كانت تأتي من الجهة الأخرى - أي من اليهود وأقرباء الجماعة - لكي ينعوهم بالرجوع عن خطئهم كما يزعمون.

٣- أتباع يوحنا المعمدان: كان التلاميذ الأوائل من أتباع المعمدان. ولعل التلميذ الذي كان يسوع يحبه واحد منهم. ولكن مع ذلك نجد أشياء غريبة ضد يوحنا المعمدان. إنه ليس المسيح ولا إيليا ولا النبي. إنه ليس النور بل ليشهد للنور. إنه يجب أن ينقص وأن يسوع يزيد. وهكذا ما هو موجود في (يوحنا ١ - ٣). ويلوح أنه كان هناك غيره من جهة تلاميذ يوحنا لأن جماعة كثيرة اتبعت يسوع. ولكن يلوح أن هناك شخصيات من تلاميذ يوحنا لم تتبع يسوع مباشرة كما هو مذكور في (أعمال ١٨: ٢٤ - ١٩: ٧). ولكن هذه كلها لا تعلن أن الجماعة كانت تكره تلاميذ يوحنا كما كان الحال مع اليهود. بل كانت تناقش معهم أمر رجوعهم إلى يسوع.

المرحلة الثالثة: مسيحيون آخرون يظهرون في الإنجيل

كان هناك مسيحيون آخرون يمكن أن نقرأ عنهم من العبارات التي في إنجيل يوحنا وهم ثلاثة أنواع سنذكرهم هنا:^{١١}

١- **المسيحيون المتخفون:** وهم الذي يؤمنون بيسوع ولكنهم يخفون ذلك خوفاً من اليهود ومن الطرد من الجمع. هؤلاء يصفهم الإنجيل إنهم فضلوا مجد الناس على مجد الله. ويبرز في وجههم قصة الرجل الذي وُلِدَ أعمى. الشجاع الذي آمن بيسوع واعترف علناً رغم طرده من الجمع (يلوح أن الرجل الأعمى يمثل جماعة يوحنا). ويقترب موقف الجماعة من المسيحيين المترددين من موقفهم من اليهود غير المؤمنين. وقد يكون ذلك لأنهم لم يعترفوا أيضاً بالكريستولوجي السامي. لكن هؤلاء المترددين كانوا يفكرون أنهم حكماء. وأنهم في الجمع لهم خدمة كبيرة. وأن وقاحة الرجل الأعمى لا تنفع (فأيهما كان أشجع)؟ نيقوديموس لم يكن واحداً منهم لأنه اعترف بإيمانه علناً بعد الصلب.

٢- **المسيحيون ذوو الإيمان الضعيف:** يقصد براون بالإيمان الضعيف أي العقيدة الأقل في الكريستولوجي Low Christology. وهو يذكر أربعة أجزاء في الإنجيل تشير إلى هؤلاء الناس. المكان الأول في (٦: ٦٠-٦٦) حيث كان يتكلم السيد عن خبز الحياة في الجمع ثم خرج بعد اعتراض اليهود عليه وتبعه تلاميذه (أي الذين كانوا يتبعونه علناً) وبينهم الاثنا عشر تلميذاً. ولكن بعضاً من هؤلاء التلاميذ تركوه ولم يعودوا يسيرون معه: لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا. يلوح أن يوحنا يشير إلى جماعة لم يستطيعوا أن يقبلوا عقيدة الجماعة في طقس العشاء الرباني.

المكان الثاني هو عندما يذكر أن إخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون به (٥: ٣-٧). ومع أن هذا الجزء كُتِبَ في أواخر القرن الأول ويُعتَبَر غريباً لكنه

هل الإنجيل الرابع وثيقة جماعة خاصة تتبع التلميذ الذي كان يسوع يُحبّه! ٧١

كان يعبر عن جماعة كانوا يتبعون يعقوب أخا الرب، ويتخذوه البطل لهم؛ لأنه كان محافظًا أكثر من الرسولين بطرس وبولس.

أما المكان الثالث فهو (٨: ٣١). عن جماعة من اليهود كانوا قد آمنوا به وكانوا يتمسكون بقولهم إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد. وجئوا عندما سمعوا يسوع يقول إنه قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن فرفعوا حجارة ليرجموه. إنهم لم يستطيعوا أن يقبلوا الكريستولوجي السامي واعتبروا يسوع مجدّفًا. وهذا يشير إلى هؤلاء المسيحيين ولعلمهم حاولوا أن يضطهدوا إخوتهم لأنهم قبلوا العقيدة السامية في المسيح.

المكان الرابع هو حيث يقول المسيح عن جماعة إنهم أجراء وليسوا رعاة. فهم ليسوا فريسيين. فأولئك هم لصوص وقتلة. ولكن هؤلاء آمنوا ولكنهم لم يستطيعوا أن يحموا إخوتهم حماية كافية من اليهود والفريسيين الذين أرادوا أن يرجعوه إلى اليهودية.

هؤلاء الجماعات الأربع الذين لم يقبلوا عقيدة العشاء الرباني ولا العقيدة السامية في المسيح وإخوة يسوع والأجراء. هؤلاء كوّنوا كنيسة عُرفت في عصر الآباء والمسيحيين الأوائل بأنهم المسيحيون اليهود الذين قدسوا المسيح كمعلم، ولكنهم لم يكونوا مستعدين أن ينسبوه إلى الألوهية. كانوا يتمسكون بالعشاء المقدس ولكنه عشاء شركة إخوة وليس «عشاء الرب». (هل هناك هرطقة لأن أناسًا أتوا بأفكار جديدة غريبة؟ هذه هرطقة لأن أناسًا تمسكوا بالقديم).

٣- **المسيحيون في الكنيسة الرسولية:** الكنيسة الرسولية التي نقصدها هنا هي التي اتبعت بطرس وأندراوس وفيلبس ونثنائيل وبقية الاثني عشر. واختيار فيلبس وأندراوس وذكرهم في (١٢: ٢٠ وما بعده) يشير به إلى دخول الأمم. ولعل الفريقين -أي فريق مجتمع التلاميذ المحبوب وفريق الاثني عشر- كان كلٌ منهما يتكون من يهود وأمم معًا. ويظهر يوحنا هذا الفريق في ١: ٦٠-٦٩. عندما ترك جماعة من التلاميذ سيدهم ورجعوا إلى الوراء بقي فريق الاثني عشر وقال بطرس مثلهم: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلَامَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» فيوحنا يعتبرهم مسيحيين مؤمنين وإيمانهم طيبًا. ثم نعرف من المقارنة بين التلميذ المحبوب وبطرس أنه يتكلم عن الجماعة العامة للمسيحيين. فهذا التلميذ ذُكر في ستة أماكن خمسة منها يقارن ببطرس (١٣: ٢٣-٢٦، ١٨: ١٥ و ١٦، ٢٠: ٢-١٠، ٢١: ٧، ٢٠-٢٣). أما في ١٩: ٢٦ و ٢٧ ففيها يظهر التلميذ عند الصليب بينما يهرب الباقون. ومن بينهم بطرس (١٦: ٣٢). أما من ناحية موقفهم من المسيحيين عامة فهم يُعتبرون من خاصة المسيح (١٣: ٦، ١٤: ٥ و ٨ و ٢٢) الذي صلى من أجلهم (١٧: ٩ و ٢٠) وكرههم العالم (١٧: ١٤). ورأوا الرب المقام (٢٠: ١٩ و ٢٤، ٢١: ٢). وزعيمهم بطرس مجّد الرب بموته (٢١: ١٩). ومع ذلك فلم يفهموا المسيحية ولم يكونوا مع المسيح مثل جماعة يوحنا؛ حيث إنهم هربوا وأنكر زعيمهم المسيح ٣ مرات فاستحق توبيخ المسيح ٣ مرات. وأعظم ما يميز مسيحية يوحنا عن مسيحية بطرس. عقيدتهم في المسيح. الكريستولوجي. فمثلًا فيلبس لم يعرف أن من رأى المسيح

هل الإنجيل الرابع وثيقة جماعة خاصة تتبع التلميذ الذي كان يسوع يحبه! ٧٣

فقد رأى الله (١٤: ٩) ولما قالوا إنهم آمنوا أنه من عند الله جاء قال لهم شاكرًا في قوتهم ستتفرقون كلكم (١٦: ٢٩ - ٣٢). وهكذا. ولعل ما كان ينقص الكريستولوجي المسيحي هو عقيدتهم في وجود المسيح السابق. فجميعهم يؤمنون بأن المسيح ابن الله. ولكن جماعة يوحنا هذا يعني أنه كان عند الله (١: ١٨، ١٧: ١٤) فهو ليس من هذا العالم. بل من عند الآب.

بالإضافة إلى هذا فإن هناك ثلاثة اختلافات أخرى بين الجماعتين الاختلاف الأول أن متى ولوقا يعلنان أن الناس عرفوا أن المسيح ابن الله لأنه لم يولد من زرع بشر. ولكن يوحنا كان أعظم. ثم هناك الاختلاف الثاني على الكنيسة فبينما متى ولوقا يضعان الأهمية على انتساب الكنيسة إلى الرسل فإن إنجيل يوحنا يضع ضمان الكنيسة ليس مع الرسل. بل في المسيح. إن الكلمة التي يستخدمها يوحنا «تلميذ» وليس «رسول» لأن الرسول مُرسَل أما التلميذ فإنه يلتصق بالمسيح. عندما مات هؤلاء العظام -بطرس وبولس ويعقوب- فإن الكنيسة وجدت الحل في الوظائف التي تبعت الرسل (أعمال ٢٠: ٢٨-٣٠، تيطس ١: ٩، ٢ بطرس ١: ١٢-٢١) ولكن جماعة يوحنا عندما رُوِّعت بموت التلميذ وجدت الحل في الباراقليط الذي سيتسمر معهم ويذكرهم بكلام المسيح ويرشدهم.

الاختلاف الثالث بين جماعة يوحنا والجماعة في الكنيسة الرسولية هو في المعمودية وعشاء الرب. إن يوحنا ليس لديه أمر من يسوع بهذين الطقسين. إن صورة يسوع وهو يأمر بالطقسين في آخر حياته على

الأرض تعني ربط هذين الطقسين بالكنيسة. أما يوحنا وهو يربط الطقسين بحياة يسوع وعمله عندما فتح أعين الأعمى (المعمودية كإنارة) وأشبع الجياع (العشاء الرباني كشبع) فإنها ترتبط به هو. إن يوحنا يحذر الكنيسة ويعرفها أن أمجد حالاتها واستمراريتها هي أن تعرف وجود السيد في الباراقليط. ولا يمكن أن يحل أي طقس محل هذه الحقيقة.

٤- جماعة يوحنا: هل كانت هذه الجماعة «شيعة» Sect؟ لقد درسنا موقف هذه الجماعة من الجماعات الكثيرة الأخرى. موقفها من اليهود. ومن العالم وجماعة المعمدان من اليهود وضعفاء الإيمان وكان موقفهم بالنسبة للآخر إيجابيًا. ثم جاء موقفهم من الذين آمنوا. ولكنهم تخفوا وكان موقفهم سلبيًا بالنسبة لهم. وأخيرًا المسيحية الرسولية. وحيث إن هذه الجماعة لم تكن لها شركة مع معظم هؤلاء ونددت بعقائدهم تجاه الكريستولوجي والكنيسة. فإن فيهم نوع من الشيعة Sectism؟ ولكن صلتهم بالجماعة المسيحية ككل وبحضورهم كلهم العشاء الرباني وصلاة المسيح من أجلهم كلهم يحميهم من كونهم شيعة.

إلى هنا انتهى تاريخهم مع الإنجيل وسيبدأ تاريخ آخر لهم وهو انقسامهم على أنفسهم وصراعاتهم كما يظهر في الرسائل وخصوصًا الرسالة الأولى. وهذه هي المرحلة الرابعة.

الباب الرابع

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي

من أهم الكلمات التي ترد في كتابات يوحنا هي كلمة الشهادة. والكلمة لها مدلولها وعمقها في كل من الإنجيل والرسائل وسفر الرؤيا خصوصًا الرسالة الأولى. ويستخدم الكاتب كلمتين: الفعل martyrein يشهد. ثم الاسم شهادة martyria. وللدلالة على أهميتها فإن الفعل يأتي ٣٣ مرة في الإنجيل، ثم ١٠ مرات في الرسالة الأولى. ثم ٤ مرات في سفر الرؤيا. بينما يأتي الفعل ٣٠ مرة في بقية كتابات العهد الجديد. أما الاسم شهادة فيأتي ١٤ مرة في الإنجيل و٧ مرات في الرسالتين الثانية والثالثة. ثم ٧ مرات في سفر الرؤيا. أما بقية العهد الجديد فيأتي فيه هذا الاسم ٣٧ مرة. هذا مع العلم بأن يوحنا لا يستخدم بعض الكلمات الأخرى التي تعني شهادة والمستخدم في بقية أسفار العهد الجديد.

المعنى الأساسي للكلمة: المعنى الأصلي للكلمة معنى قضائي. وهذا المعنى واضح كثيرًا في العهد القديم. فقد جاءت الكلمات العبرية لتؤدي معنى الشهادة أمام القضاء «كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا فَعَلَى قِيمِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الْقَاتِلُ. وَشَاهِدٌ وَاحِدٌ لَا يَشْهَدُ عَلَى نَفْسٍ لِلْمَوْتِ» (عدد ٣٥: ٣٠ انظر تثنية ١٧: ٦ و٧، ١٩: ٢). والشاهد يجب أن يكن قد رأى أو سمع بما يشهد به «وَإِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَسَمِعَ صَوْتَ حَلْفٍ وَهُوَ شَاهِدٌ يُبْصِرُ أَوْ يَعْرِفُ. فَإِنْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ حَمَلٌ ذَنْبُهُ» (لاويين ٥: ١ انظر عدد ٥: ١٣، يشوع ٢٤: ٢٢، إشعياء ٨: ٢). هذا هو المعنى القضائي للشهادة.

ولكن حدث تطور في معنى هذه الكلمة في العهد القديم عندما نُسبت إلى الله وإلى الأشياء؛ فمثلًا أُطْلِقَتْ على الحجر الذي أقامه يعقوب ولابان ليكون شاهداً بينهما (تكوين ٣١: ٤٣-٥٣). والمذبح الذي بناه الإسرائيليون ليكون شاهداً بينهم وبين بني رأوبين ومن معهم (يشوع ٢٢: ٢٧ و٢٨ و٣٤). ولكن الشاهد الحقيقي في تلك الأشياء كان هو الله. فإقامة الحجر والمذبح كانت رمزاً على حضور الله بين الفريقين. وهناك أشياء أخرى مقدسة نُسبت إليها الشهادة: فخيمة الاجتماع سُمِّيت خيمة الشهادة «فَوَضَعَ مُوسَى الْعَصَى أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ» (عدد ١٧: ٧).

والتابوت سُمِّي تابوت الشهادة. «وَجَعَلَ الْغِطَاءَ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ فِي قُدْسِ الْأَقْدَاسِ» (خروج ٢٦: ٣٤).

ولوحا الحجر اللذان كتب عليهما الله الوصايا العشر اسمهما لوحا

الشهادة «وَكَانَ لَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سَيْنَاءَ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِ مُوسَى، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ، أَنَّ مُوسَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلَامِهِ مَعَهُ.» (٢٩: ٣٤).

هذه المعاني مع أنها لم تتحلَّ عن السمة القضائية فيها. إلا أنها تطورت إلى الناحية الدينية لتعبر عن وجود الله في المكان الذي وُجد فيه الشيء الشاهد.

الشهادة في إنجيل يوحنا:

لم تظهر أهمية الشهادة في إنجيل يوحنا في عدد المرات التي ظهر فيها اللفظ فقط. بل في عدد الشهود الذين يذكرهم الإنجيل. فهناك سبعة أنواع يمكن تقسيمها إلى الأنماط التالية:

١- الشهادة الأساسية هي شهادة يسوع المسيح.

٢- الشهادة الإلهية: وتشمل شهادة الأب. ثم الشهادة النبوية. وتتمثل في شهادة يوحنا المعمدان. والشهادة المعمولة وتتمثل في شهادة آيات المسيح. ثم الشهادة المكتوبة وتتمثل في الكتب المقدسة.

٣- شهادة البشر مثل شهادة المرأة السامرية والذين كانوا عند قبر لعازر وغيرهم.

٤- ثم شهادة الروح القدس وهي الشهادة الداخلية.

هذه هي الشهادات السبع التي تظهر في إنجيل يوحنا وجميعها بلا استثناء هدفها ومركزها يسوع المسيح. فهؤلاء كلهم يشهدون

له وهو أيضًا يشهد لنفسه كما سيتضح لنا فيما بعد. وهنا يواجهنا السؤال الهام وهو: ما معنى الشهادة في إنجيل يوحنا؟ هل لا زالت في معناها القضائي؟ أم أنها تغيرت وتطورت فصار لها معنى جديد؟ وهل تطورها في نفس اتجاه تطورها في العهد القديم؟

ردًا على هذه الأسئلة نذكر أن الكلمة قد تطورت في مدلولها فلم يصبح معناها قضائيًا كما كان أولًا. ولكنها تركت ذلك المعنى مع أنها لم تفقده تمامًا. وصار اتجاهها في اتجاه العهد القديم. ولكن بطريقة أعمق وأكمل. ففي العهد القديم - كما مر سابقًا - تطورت بأن نُسبت ليس فقط إلى الإنسان كشاهد قضائي يذكر ما سمعه أو ما رآه. ولكنها نُسبت إلى الأشياء كحجر لابان ويعقوب وحجر يشوع ومذبح الأسباط. لا لشيء في ذاتها ولكنها رمز لحضور الله كشاهد على ما يتفق عليه من عهود ومواعيد. فاجاه تطورها كان اتجاهًا دينيًا. وهكذا حدث في العهد الجديد: إذ طورها البشير فصار معناها لاهوتيًا أكثر منه قضائيًا. وأضحت ذات أهمية قصوى في مفهوم إنجيل يوحنا وفي تفسيره.

في يوحنا (٣: ١١) يقول السيد لنيقوديموس معلم اليهود: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا.» وفي آخر الإصحاح يقول: «الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقَ هُوَ فَوْقَ الْجُمُيعِ، وَالَّذِي مِنَ الْأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ، وَمِنَ الْأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجُمُيعِ، وَمَا رَأَاهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ. وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا. وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ حَتَمَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ» (٣ - ٣١ - ٣٣). في هذه الأعداد

السابقة ترتبط الشهادة بالإعلان ارتباطًا تامًا. فالسيد عندما يتكلم مع نيقوديموس فإنه يشهد بما رأى وما سمع، معنى ذلك أنه يعلن أشياء سماوية بغيره لم تكن لتُعلن. ويتكرر هذا الحق في الأعداد الأخيرة مع أنه يعطي للشهادة أو الإعلان معنى واسعًا. وأن هذه الشهادة ليست مقبولة من جميع الناس، بل هناك كثيرون يرفضونها. وقد يأتي هذا لأن الذين يسمعون الشهادة لا يفهمونها؛ لأنها سماوية. كما حدث مع معلم الناموس. أو يكون الرفض قاطعًا كما رفضها اليهود. كما يوضح الإنجيل ذلك (١: ١١، ٥: ٣١ - ٤٠). فإن كان لوقا يتكلم عن الشهادة (أعمال ١: ٨) فإنه إنما يربطها بواحدة من الوظائف التي قام بها يسوع. وهو عمله كمخلص وكفادٍ. فالشهادة عنده ترتبط بالصليب والقيامة. ولكن يوحنا يربط هذه الشهادة بالإعلان. فشهادة يسوع هي إعلان لما رآه وما سمعه. ثم الشهادة له وعنه هي أيضًا إعلان كما سنعرف فيما بعد. فالمسيح قد جاء ليشهد للحق «وَلِهَذَا قَدْ آتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يوحنا ١٨: ٣٧) فشهادة السيد هي إعلان الحق. وكل من هو من الحق وله شركة بالمسيح فإنه يستطيع أن يفهم هذا الإعلان فيقبله.

فالشهادة إذا ترتبط بالإعلان في إنجيل يوحنا. وهذا ليس غريبًا عليه. فالإعلان كلمة ومفهوم هام جدًا في هذا الإنجيل. وقد استعمل كلمات كثيرة ليعبر عنه. فهناك كلمة «يظهر Phaneroun» وذلك في شهادة المعمدان للمسيح لكي تُعلن للعالم (١: ٣١). ونفس هذه الكلمة جاءت في كلام إخوة السيد الذين لم يكونوا يؤمنون به يحضونه على أن

يُظهر نفسه للعالم (٧: ٤). وقد استُخدمت أيضًا لتدل على ظهورات السيد بعد القيامة لتلاميذه فإن هذه الظهورات كانت في الحقيقة إعلانات فيقول: «أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلَامِيذِ» أي أعلن نفسه (١: ٢١). ويستخدمها مرة أخرى في (١٧: ٦) عندما يقول السيد للآب: «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ». وهكذا استعملها في أمكنة أخرى (٢: ١١) حيث أظهر مجده في الآيات. وفي كل هذه الحالات السابقة كان الإعلان سماويًا ويتعلق بالأمور التي لا يمكن أن يعرفها الذين هم من الأرض. بل لها صلتها بالله وبما رآه وسمعه في السماويات. وهناك كلمة أخرى يستخدمها إنجيل يوحنا وهي كلمة *deiknēnai* وتأتي ٧ مرات في الإنجيل و٨ مرات في سفر الرؤيا. والكلمة تتكلم عن الإظهار أو الإعلان بطريقة مرئية للعين. ففي (٢٠: ٢٠) يقول: «وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَذْبُو وَجَنَّتُهُ». وقد جاءت في طلب فيلبس «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الْآبَ وَكَفَمَّا قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ» (١٤: ٨ و ٩). وفي تحدي اليهود للسيد أن يريهم آية (١٠: ٣٢). وفي علاقة الآب بالابن: إذ يحبه ويريه جميع ما هو يعمل (٥: ٢٠). فإذا كانت الشهادة مرتبطة بالإعلان وهي نفسها إعلان. إذن فكون الإعلان بحسب إنجيل يوحنا: هو أولاً إعلان الابن وهو الإعلان الأساسي والشهادة الأساسية التي تتجه إليها كل الشهادات الأخرى. وأن السيد أعلن للجميع بواسطة الكلمة والعين مجد الآب كما سيأتي فيما بعد. بعد ذلك يأتي الإعلان الموضوع المجسم الذي يقرأه الناس ويلمسونه. وهو إعلان الآب عن ابنه في الكتب المقدسة وفي

الناموس وفي الأنبياء، ثم إعلانه أيضًا في الأعمال التي يعطيها للابن لكي يعملها.

ثم هناك الإعلان الذاتي وهو إعلان الروح القدس الذي يعلن للإنسان في داخله ويفتح عينيه لكي يفهم كل تلك الإعلانات. أما الإعلانات البشرية أو شهادة البشر للمسيح فليست إعلانات مباشرة. بل استجابة لعمل الروح القدس في قلوبهم. ولكن يلاحظ هنا أن هذه الإعلانات كلها ليست مثل إعلان المسيح: لأن هذه كلها موضوعية. أما إعلانه هو فـشخصي Personal. بمعنى أنه عندما أعلن فهو نفسه -كشخص- الإعلان. عندما أعلن الله لم يتكلم عنه، ولكنه أعلنه في شخصه وحياته وذاته. فكل الإعلانات الأخرى تنظر إلى هذا الإعلان وتشير إليه وتكمل فيه.

وقبل أن نتقدم إلى دراسة هذه الشهادات -كل على حدة- يجب أن نذكر أن كتابة إنجيل يوحنا عن الشهادة وعن مضمونها لم تأت عن طريق نظريات لاهوتية استنتجها الرسول في معرض تفكيره اللاهوتي. فهي ليست نظريات عقلية، ولكنها وليدة موقف خاص أوجد فيه الكاتب وكان عليه أن يعالج هذا الموقف الحاد الذي تولد نتيجة عاملين هامين جدًا.

العامل الأول هو أنه عند كتابة الإنجيل كانت البشارة قد انتشرت في كل أنحاء الإمبراطورية. وكثرت الكنائس. واتسعت الرسالة إلى كل العالم المعروف في ذلك الوقت. فوقت التبشير المتحمس والخبرة

الرسولية في الكنيسة الأولى بدأ يختفي ويعطي مكانه لوقت التحليل لوقت. كل الرسل تقريبًا ماتوا. كل كتابات العهد الجديد غالبًا كانت موجودة. والرسالة المسيحية ما هو موقفها؟ ما هو البرهان عليها؟ إن العالم يريد أن يعرف جوابًا على تساؤله عن الأسس التي عليها تبني الكنيسة ادعاءاتها وإعلاناتها. فعلى أي أساس؟ الصوت الرسولي الذي كان الفيصل في كل شيء لم يعد يُسمع. بقي أن نجد شيئًا مستديمًا تبني عليه الرسالة المسيحية البشارة التي تقدمها. ولهذا وضع يوحنا هذا الأساس. إنها شهادة يسوع المسيح وإعلانه. الشهادة التي جاءت فيه وكشفت للناس. فمن يُرد أن يسمع للحق فهو يسمع ويفهم. لم يعد وقت النظر بالعين الآن «... طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا». إن الشهادات الأخرى تؤكد شهادة السيد وإعلانه. وتشير إليهما وتؤيدهما. ولكنها الشهادة الأساسية. هذا ما يحتاج إليه العالم في وقت صعد المسيح فيه ولم يعد على الأرض. وذهب الرسل ولم يبق إلا إعلان يسوع المسيح والعالم يحتاج إلى شهادة أتباعه.

العامل الثاني هو الانقسام الذي حدث في الكنيسة. فقد حدثت فِرَقٌ وشيخ وبدا في الكنيسة بعض الحركات التي لم تكن تسير في الاتجاه الصحيح. وكانت تحتاج إلى تصحيح. وجاء الإنجيل بما فيه من أساس حقيقي ليصحح هذه المسارات. إذن فكل كتابة البشير عن الشهادة ثم إظهار قيمتها كان استجابة لموقف حقيقي في الكنيسة وفي العالم.

لنأت الآن إلى دراسة الشهادات المختلفة. مدلولها ومضمونها والأمور التي تشير إليها.

١- شهادة يسوع المسيح:

من أهم الكلمات التي يستخدمها الإنجيل كلمة «أرسل» وهناك كلمتان يونانيتان تدلان على الإرسال: apostōllō والكلمة pempō ومع أنهما قد تستخدمان في معنيين متمايزين بعض الشيء في بقية العهد الجديد. إلا أن معناهما واحد في هذا الإنجيل. ففي إرسال الآب لابن قد يستخدم أية كلمة منهما وفي إرسال السيد لتلاميذ قد يستخدم أيًا منهما. وكذلك في إرسال الروح القدس فقد يستخدم السيد كلمة pempō (يوحنا ١٤: ٢٦). ومع ذلك فإنه يستخدم كلمات أخرى تفيد الإرسال مثل «أتى» و«خرج» و«نزل»... إلخ.

وينفرد إنجيل يوحنا بالمعنى والهدف الذي أرسل لأجله الآب الابن. فمثلاً يتكلم إنجيل لوقا عن إرسال المسيح. ولكن هذا الإرسال كان مرتبطاً بعمل المسيا كما يظهر ذلك في عظة السيد في مجمع الناصرة (لوقا ٤: ١٨ و ١٩ انظر ٤٣. متى ١٠: ٤٠. مرقس ٩: ٣٧). أما الرسول بولس فإنه يتكلم أيضاً عن إرسال المسيح. ولكنه يربط هذا الإرسال بعمل الفداء.. «قَالَ لَهُ إِذْ أُرْسِلَ ابْنُهُ فِي شَبْهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ. وَلِأَجْلِ الْخَطِيئَةِ. دَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ» (رومية ٨: ٣ انظر غلاطية ٤: ٤ و ٥).

أما في إنجيل يوحنا فقد أرسل يسوع لخدمة أخرى وخدمة هامة يدل على أهميتها عدد المرات التي فيها نسب السيد الإرسال إلى نفسه

فقد وردت كلمة الإرسال هذه ٢٣ مرة في هذا الإنجيل. منها ١٧ مرة ورد فيها الفعل apostellein و ١٧ مرة أن يسوع هو «نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» (٣: ١٣). ٦: ٣ و ٣٨ و ٤٢ و ٥١. هو الشخص الذي «قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ» (٣: ١٩، ٩: ٣٩، ١١: ٢٧، ١٢: ٤٦.. إلخ).

أما في الخطاب الأخير فقد يتحول الأمر من الإرسال والمجيء والنزول للرجوع إلى الآب (١١: ٣٣، ١٤: ١-٤ و ١٢ و ٢٨، ١٦: ٥ و ٧، ١٧: ١١ و ١٣). هذا العمل «المجيء من عند الآب. والرجوع إليه» لا صلة لها بعمل المسيح كما هو موجود في لوقا. ولا بعمل الفداء كما يعبر عنه الرسول بولس. ولكنه مرتبط ارتباطًا تامًا وكاملًا بإعلان الابن للآب «أَلَهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ حَبَّرَ» (يوحنا ١: ١٨). فيسوع إذًا ليس نبيًا مع أنه يعمل عمل النبي. ولا رسولًا بالمعنى المفهوم للرسول. ولكنه «المُرسل» الوحيد الذي يستطيع أن يعلن الآب للعالم. وقد يتساءل البعض: كيف يمكن أن يعلن الله في شخصه وهو يظهر خضوعه لله في كل شيء إذ يقول: «وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي. بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أُرْسَلَنِي هُوَ مَعِي. وَلَمْ يَتْرُكْنِي الْآبُ وَحْدِي. لَأَتِي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يَرْضِيهِ» (٨: ٢٨ و ٢٩).

لا يوجد أي تعارض أو تناقض في هذا الأمر لأن الخضوع هو خضوع التوافق التام بينهما كما يقول في مكان آخر: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (١٠: ٣٠). وهو وحده الوحيد الذي يعلن الآب (٧: ٢٩).

وهنا يجب أن نلاحظ أنه عندما يتكلم يوحنا عن يسوع أنه يعلن الله لا يقصد أنه وسيط ذلك الإعلان، أو أنه الوسيط الأعظم في هذا

الإعلان. لا يكفي أن نسمي يسوع وننظر إليه على أنه المعلن أو وسيط الإعلان، بل هو المعلن لله الحقيقي. إله إسرائيل. وهو بذلك موضوع الإيمان تمامًا مثل الآب. فعندما يكلم اليهود يقول لهم كيف يعملون عمل الله «هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ» (٢٩: ٦). ويقول للتلاميذ: «... أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي». (١٤: ١). ويجب أن يؤمنوا أن الآب أرسله وأنه جاء من الله (١٦: ٣٠، ١٧: ٨ و ٢٥ انظر يوحنا ٤: ١٤). وهذا ما استطاع أن يفهمه الرجل الأعمى الذي شفاه يسوع. فإنه عرف أولاً من أعماله. ثم عرف بعد ذلك من هو حقيقةً، فهو يقول لليهود عندما يظهرون جهلهم: «مَنْ أَيْنَ أَتَى يَسُوعُ»، «إِنَّ فِي هَذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مَنْ أَتَى هُوَ. وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلْخَطَاةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهَذَا يَسْمَعُ. مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يَسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيَّ مَوْلُودٍ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا» (٩: ٣٠-٣٣). فالإيمان في المسيح وفي المصدر الذي جاء منه لا يمكن أن ينفصلا أبدًا. إنه من الله ولذلك نؤمن به وإعلانه هو إعلان شخص الله. إذ يعرف الناس الله فيه هو. فهو إعلان مطلق لأنه إعلان للآب. ولهذا يتكلم يسوع بسلطان الآب لأنه هو الذي أعلنه «الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَالَّذِي مِنَ الْأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ. وَمِنْ الْأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ. وَمَا رَأَاهُ وَسَمِعَهُ بِهِ بِشَهَادَةٍ. وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا. وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ حَتَمَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ. لِأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ لَيْسَ يَكْبَلُ يُعْطَى اللَّهُ الرُّوحَ. الْآبُ يُحِبُّ الْابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ. الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ

لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتْ عَلَيْهِ غَضَبٌ
 اللَّهُ» (٣: ٣٦-٣٧ انظر ٥: ٣٠، ٧: ١٦، ٨: ٢٨ و ٣٨ و ٤٠، ١٢: ٤٩ و ٥٠، ١٤: ١٠
 و ١٤، ١٧: ٨ و ١٤).

بأي سلطان أعلن المسيح الأب: ولكن بأي سلطان يستطيع
 المسيح أن يعلن الأب؟ إن السلطان الكامل والأوحد هو كونه الابن
 الوحيد للأب. لهذا السلطان هو الذي أعطى المسيح الإمكانية لإعلان
 الأب في شخصه هو. لقد تساءل الكثيرون: هل كان يسوع يعرف أنه
 الابن؟ إن هذا السؤال يواجه السؤال الذي يثيره دارسو الأناجيل الثلاثة.
 إلى أي مدى كان يسوع يعرف أنه المسيا. أو ابن الإنسان؟ لكن الجواب هنا
 سيكون منصباً على إنجيل يوحنا: وهذا الجواب بالإيجاب المؤكد. ففي
 هذا الإنجيل يُظهر يسوع بوضوح أنه هو الابن الوحيد. لقد قال لليهود:
 «أنا أتيت لكم باسم أبي...» (٥: ٤٣). ثم يقول لتلاميذه وللجموع: «لهذا
 يُحِبُّنِي الأب. لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِأَخَذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي.
 بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ دَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعُهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا
 أَيْضًا. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي» (١٠: ١٧ و ١٨ انظر عدد ٢٥). ثم يقول
 في خطابه الأخير «أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ أَنِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ
 تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْأَبِ. لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمَ مِنِّي.» (١٤: ٢٨). فهو
 الابن بحسب شهادته هو لنفسه وبنوئته للأب ليس بنوثة التبني أي
 أنه صار ابناً لله كما يحدث للمؤمنين. ولكنه هو الابن الوحيد الذي
 في حضن الأب. ولذلك هو في الأب كما يؤكد لتلاميذه: «أَلَسْتُ تُؤْمِنُ
 أَنِّي أَنَا فِي الْأَبِ وَالْأَبَ فِيَّ؟ الْكَلَامَ الَّذِي أَكَلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ

مِنْ نَفْسِي. لَكِنَّ الْآبَ الْخَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ. صَدَّقُونِي أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ، وَإِلَّا قَصَدْتُوَنِي لِسَبَبِ الْأَعْمَالِ تَفْسِيهَا.» (١٤: ١٠ و ١١ انظر ١٠: ٣٠). ولذلك فكلُّ منهما يعرف الآخر المعرفة التامة «كَمَا أَنَّ الْآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ» (١٠: ١٥). ومعرفته بالآب ليست معرفة عقلية أي أنه يعرف عنه، ولكنها معرفة المحبة والشركة المتبادلتين اللتين تفوقان إدراك العقل. لهذا فهو يستطيع أن يعلن الآب ذاته. ومعرفته بالآب تجعله يعرف كل شيء. فالمسيح في إنجيل يوحنا لا يقول أبداً: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتِلْكَ السَّاعَةُ... فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ... وَلَا الْابْنُ...» (مرقس ١٣: ٣٢) ولكنه يعرف كل شيء. فهو يعرف قلب الإنسان حتى ولو أظهر الإيمان به (يوحنا ٢: ٢٤ و ٢٥). وهو يعرف مسلّمه مع أنه حاول إخفاء نفسه (١٣: ١١). ويعرف ساعته متى جاءت (٢: ٤، ٧: ٣٠، ١٢: ٢٣). فمعرفة المسيح الكاملة هذه: يعرف أنه الابن ويعرف الآب ويعرف كل شيء يجعله يشهد لنفسه. فهو يقول ذلك لليهود الذين يتهمونه أنه يشهد لنفسه «أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَسَهَاتِي حَقٌّ. لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ.» (٨: ١٤). ثم يقول «أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي. وَيَشْهَدُ لِي الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتُ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلَا أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا» (٨: ١٨ و ١٩).

مضمون الإعلان: ما هو مضمون الإعلان في المسيح يسوع؟ الأمر الغريب حقاً أننا نقول إن المسيح أعلن الله الآب للجميع مع أنه لم يقل

شيئًا يُذكر عن الله. هل هناك أكثر من العبارات التي قالها السيد عن الأب: مثل «الله روح»، «للأب حياة في ذاته» ثم عن السماء «في بيت أبي منازل كثيرة» وقليل جدًا غيرها؟ فكيف نفسر إعلان المسيح للأب؟ في الحقيقة ينقسم الإعلان إلى نوعين: النوع الأول هو إعلان عن الله أي أن المعلن يتكلم عن الله وعمله وقوله وموقفه من الأمة وغير ذلك. إنه مجموعة من المعلومات تقال عن الله. إعلان السيد لم يكن من هذا النوع. لم يكن مجموعة من المعلومات مهما كان سموها عن الله. هذا إعلان يأتي عن طريق النبي أو الكتاب المقدس - كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد.

أما النوع الثاني فهو إعلان الله نفسه ليس فقط بالكلام أو العمل. بل في الحياة نفسها. فهو ليس إعلانًا عن الله، بل إعلان الله ذاته. هذا هو إعلان السيد أنه أعلن الأب ففيه رأينا الله نفسه «الَّذِي رَأَيْتُ قَدْ رَأَى الْآبَ» (يوحنا ١٤: ٩). هذا هو الإعلان الفدائي. لأن السيد أعلن الأب وهو يقوم بعمل افتداء لكل العالم أو لكل من يؤمن من العالم. فحياة السيد وتعاليمه وعمله وموته وقيامته هي إعلان الأب نشاطًا وعاملاً مخلصًا للذين يؤمنون.

وإذا كان كذلك فعندما يعلن يسوع الأب فإنه يعلن ذاته أيضًا. وعندما يعرف الناس الأب في يسوع فإنهم يعرفون يسوع نفسه. فإذا كان يسوع قد أعلن أن الله حق أو حقيقي ذلك لأن يسوع نفسه هو الحق (١٤: ٦). وإذا كان يعلن الأب الفادي لأنه هو أيضًا الفادي (٥: ١٩ - ٢٣) فما عرفه يسوع فإنه يعمل والسبب لأنه هو والأب واحد. وهذه الحقيقة

الجوهرية الهامة تتحقق وتتضح من ثلاثة أمور يوضحها إنجيل يوحنا:

الأمر الأول هو أن يسوع كان يعمل من موقف الخضوع للآب: إنه خضوع المحبة. ولم يعمل مستقلاً عنه «تُعَلِّمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي. إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلِي يَتَعَرَّفُ التَّعْلِيمَ. هَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ. أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي» (١٦: ١٧). ثم يقول لليهود الذين أرادوا رجمه: «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ. لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (١٠: ٣٧ و٣٨). فتعليمه وأعماله قد تقبلها من الآب وهو يتكلم بها ثم يعملها. وفي هذا الأمر يقول بولتمان:^{١٧} «إن كلمات يسوع ليست وحيًا منقطعاً يأتي من آن لآخر. ولكنه يتكلم ويعمل دائماً من داخل وحدته مع الآب». هذا الخضوع يسير جنباً إلى جنب مع صلته الكاملة للآب.

أما الأمر الثاني الذي يكشف عن صلة يسوع التاريخي بالآب وأنه هو مركز الإعلان الكامل لله هو المجد الذي ظهر في يسوع. ويعبر عنه الإنجيل بالقول: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا. وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ. مَجْداً كَمَا لِيُوحِيدٍ مِنَ الْآبِ. مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً.» ورأى التلاميذ مجده في آياته التي عملها أمامهم (٢: ١١). ويعلن هو ذلك في صلاته الشفاعية (١٧: ٤ و٥). هذا المجد أو الشكينا الذي كان يظهر في العهد القديم فوق التابوت في خيمة الاجتماع أصبح الآن في وجه يسوع المسيح.

والأمر الثالث والأخير الذي يكشف عن حقيقة الإعلان الكامل في يسوع هو أنه هو يعلن أن كل من يؤمن به يخلص «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ. أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (١: ١٢). انظر ايوحنا ٥: ٩ و ١٠) فالمسيح نفسه هو موضوع الإيمان... إيمان الخلاص. وعلى هذا فيسوع لا يعلن الله فقط، بل هو نفسه الإعلان. وهذا الإعلان له مضمون وموضوع. وليس كما قال بولتمان على أنه إعلان بدون موضوع؛^{١٨} فيوحنا الذي ذكر كلمات يسوع وشرحها لا يمكن أن يعلن أن إعلان يسوع خاليًا من المضمون. ألم يقل السيد: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (١٠: ١٠)؟ فالإنجيل لا يهتم بمجيء يسوع فقط، بل بكلماته أيضًا. وهذه الكلمات هي التي تحمل المضمون الذي يعبر عن هذا الإعلان. ولكن هذا المضمون يظهر أيضًا في العمل. والمضمون الكامل في يسوع هو أنه يتكلم ويعمل. فحياته كلها: ظهوره وكلامه وعمله وموته وقيامته هي كلها مضمون الإعلان فيه. وهذا ما يعبر عنه السيد: «لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ. وَأَمَّا الْآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيئَتِهِمْ. الَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضْ أَبِي أَيْضًا. لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالًا لَمْ يَعْملَهَا أَحَدٌ غَيْرِي. لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ. وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي» (١٥: ٢٢-٢٤). فالإعلان بالكلمة والعمل مرتبطان ارتباطًا كاملاً وفي تركيب الإنجيل نجد هذين العنصرين مرتبطين ارتباطًا متينًا. لأن الإعلان بالكلمة دون العمل ناقص والإعلان بالعمل دون الكلمة ناقص أيضًا. ومع أن

العهد القديم يربط الكلمة بالعمل ولكنه لم يكن الإعلان النهائي. فلا يوجد عمل فيه يمكن أن يُطلق عليه العمل الوحيد النهائي، ولا كلمة يمكن أن يقال عنها إنها الكلمة النهائية. ولكن في المسيح، فالعمل هو العمل الأكمل والكلمة هي الكلمة المتجسد. فالعمل هو العمل الخامس والكلمة هو الكلمة الوحيد وهذا هو الإعلان الكامل أو الشهادة الكاملة.

ولكن بأي معنى نعرف أن المسيح هو إعلان الله؟ كيف يعبر الإنجيل عن تلك الحقيقة؟ تأتي في كلام المسيح عبارتان تصفانه وتصفان شهادته وتعطيان العمق الحقيقي لحياته وجسده.

أولاً: أنا هو الحق: هذه إحدى العبارتين «أَنَا هُوَ ... الْحَقُّ» (١٤: ٦) وهي تلقي ضوءاً على شهادة يسوع. لقد قيل عن المعمدان: «أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يوحنا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ» (٥: ٣٣) ولكن شهادة يسوع كانت أعمق وأبعد أصالة لأنها كانت الهدف من جسده فهو يقول لبيلاطس: «... لِهُذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا. وَلِهُذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (١٨: ٣٧). ولهذا فإنه حقيقي أو «حق كصفة تميز شهادة المسيح عن أي شهادة..» «وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ» تماماً كما تعطى هذه الصفة وتنسب إلى الروح القدس إذ هو روح الحق (١٤: ١٧، ١٥، ٢٦، ١٦: ١٣ انظر ايوحنا ٤: ٦، ٥: ٨).

يُظهر الشيء الأساسي في مفهوم الحق في يوحنا ما تعنيه هذه الكلمة في اللغة اليونانية: فإنها تعني الطبيعة الإلهية. فعند

اليونانيين هنا الظل وهو ليس حقيقياً. ولكن هناك المثال وهو الحق أو الحقيقي الذي له طبيعة الألوهية. وهذا المعنى يظهر أيضاً في العهد القديم «يَا رَبِّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكِنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ هُدُسِكَ؟ السَّائِلُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ. وَالتَّكَلِّمُ بِالصَّدَقِ فِي قَلْبِهِ. الَّذِي لَا يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلَا يَصْنَعُ سَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلَا يَحْمِلُ تَغْيِيرًا عَلَى قَرِيبِهِ.» (مزمور ١٥: ١-٣) إن الكلمة الحق تعني الحقيقة التي هي ضد كل شيء زائل أو متغير. إنه من طبيعة الله باقٍ حقيقي. فالكلمة في مفهومها الديني في العهد القديم تعني كل شيء مؤسس على الله له الحقيقة الكاملة الباقية. ولكن الحق في العبرية يختلف عما يقصده اليونانيون: فإن الحق عند اليونانيين يقود إلى الحكمة العقلية. أما الحق في العهد القديم فإنه أخلاقي يقود إلى السلوك الصالح الحقيقي الذي له الأساس في كلام الله ووصاياه.

وهذا المعنى الأخلاقي هو ما يوافق عليه إنجيل يوحنا في قوله: «وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ...» (يوحنا ٣: ٢١) وليس يتكلم فقط أو يفكر فقط بل يعمل. وهكذا كانت شهادة يسوع فهي لا تعني أنه يتكلم الصدق فقط... ولكن كلمته كانت صدقاً وحقاً. ولكنها تعني أبعد من ذلك. إنها تعني أن كلمات يسوع تشارك في الحقيقة الإلهية لأن «النَّعْمَةَ وَالْحَقَّ فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ صَارَا.» (١٧: ١). والفرق بين الحقيقة الإلهية وضد الحقيقة الإلهية هو الفرق بين صدق الله وكذب الشيطان. يقول السيد لليهود المعاندين: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ. وَشَهَوَاتُ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قَتْلًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدَنِ. وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ

حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمْتَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِكَ لَهُ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَابِ. وَأَمَّا أَنَا فَلَأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. مَن مِّنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟» (٨: ٤٤ - ٤٦). إِذَا فَشْهَادَةُ يَسُوعَ هِيَ حَقٌّ وَهِيَ إِعْلَانٌ لِلْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ (٨: ١٤ و ٤٠).

هذا الحق الذي يعلنه يسوع ليس كلامًا فقط، ولكنه الحق الفدائي فيقول: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَن يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.» (٥: ٢٤) وهذا الحق أيضًا هو الذي يحرر الإنسان إذا عرفه (٨: ٢٢). ولهذا السبب فلن يُقِيلَ إِلَى يَسُوعَ إِلَّا الَّذِينَ هُم مِّنَ الْحَقِّ. وهذا يظهر في قوله لبيلاطس: «كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (١٨: ٣٧ انظر ٤: ٢٣ و ٢٤).

وعندما نعرف ذلك فإننا نستطيع أن نذكر الحقيقة الأخيرة، وهي أن يسوع لم يكن ليعلن الحق والحق الفدائي إلا لسبب واحد وهو أنه هو الحق. والحق المطلق. فيقول: «أنا هو الحق». وهو الحق لأن الآب حاضر فيه تمامًا. فكل ما يجده الناس في الله وفي الحقيقة الإلهية يجدونه أيضًا في يسوع ويجدونه في الكتب والإعلانات النبوية التي تشير إليه. فمثلاً إن كانت الحياة مع الله ففيه هو أيضًا الحياة (١: ٤، ١٤: ٦) وإن كان الله نورًا وليس فيه ظلمة البتة فيسوع أيضًا هو النور الذي ينير كل الناس (١: ٩، ٨: ١٢). إنه الخبز النازل من السماء الواهب حياة للذين يأكلونه (٦: ٢٣). ولهذا الكيفية وبسبب هذا الحق فإن إعلان يسوع هو الإعلان الكامل... الإعلان الحق لأنه أظهر الله في مجده لأنه هو والآب واحد.

ثانياً: الكلمة: يتكرر المفهوم المطلق للإعلان في المسيح يسوع بحسب إنجيل يوحنا، في مفهوم أو عقيدة الكلمة. ويوحنا يؤكد على كلام يسوع. فهو يقول لتلاميذه الذين لا يحملون إعلاناته «الْكَلَامَ الَّذِي أَكَلَّمَكُم بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» (١: ١٣). وفي نفس الوقت يؤكد على أن المسيح هو «الكلمة». ولأنه الكلمة يتوقف عليه صدق كل الكلام. وفي هذه الدراسة. عندما ندرس شهادة الكتب المقدسة للمسيح. سوف نتبين أن عقيدة الكلمة هي التي أظهرت أنه لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين الإعلان في المسيح يسوع الشخصي. وبين الإعلان في الكتب المقدسة التي شهدت وتشهد له. وفي الإنجيل نجد أربعة معانٍ للكلمة:

أ- فهناك المعنى الظاهري البسيط أي الكلمة التي يُنطَق بها أو يقال وتُسَمَّى رهيمًا rhēma أو لاليا Lalia. هذا المعنى يظهر في قصة المرأة السامرية «فَأَمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جَدًّا بِسَبَبِ كَلَامِهِ. وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: «إِنَّا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلَامِكَ نُؤْمِنُ. لَأَنَّا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقِيقَةُ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ».» (٤: ٤١ و٤٢). هذا استعمال عادي.

ب- ونأتي لتعني كلمات يسوع. وهذا هو الاستعمال الديني. وكلمات يسوع ليست كلمات عادية بحسب المعنى السابق. بل هي كلمات الإنجيل «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذهَبْ. إِنَّكَ حَيٌّ». فَأَمَنَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ. وَذَهَبَ.» (٤: ٥٠). وكلمة يسوع هذه لها قصة فدائية تخلص الإنسان «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ

لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.» (٥: ٢٤). كلمة يسوع لها قوة وقداسة الكتب المقدسة «فَلَمَّا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلَامِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا، فَأَمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ.» (٢: ٢٢ انظر ١٨: ٩ و٣٢). ولهذا السبب فهي تدين الذين يرفضونها ولا يقبلونها «مَنْ رَدَّنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلَامِي فَلَهُ مِنْ يَدِينَهُ. الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.» (١٢: ٤٨).

ج- أما المعنى الثالث فهو مجمل تعاليم السيد، أي الإنجيل ككل أو البشارة في مجملها، ويلخصها السيد في الصلاة الشفعية قائلا: «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ» (١٧: ٢٠). وفي هذا الكلام يجب أن يثبت الناس لكي يطيعوه «فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: إِنَّكُمْ إِنْ تَبْتَنُّوا فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي» (٨: ٣١ انظر ١٤: ٢٣ - ٢٤). هذا الكلام في مجمله هو الذي يؤدي إلى الحياة (٥: ٢٤). وتطهير الإنسان «أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ.» (١٥: ٣). هذا الاستعمال مرتبط بالإعلان وذلك واضح في كلام السيد لبيلاطس إنه جاء ليشهد للحق (١٨: ٣٧) فهذا الكلام هو الحق نفسه «فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: «إِنَّكُمْ إِنْ تَبْتَنُّوا فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي. وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ.»» (٨: ٣١ و٣٢ و٤٠ و٤٥ و٤٦). هذا الكلام يعني الحق... يعني الإنجيل الأبدي.

د- أخيرًا هناك المعنى الخاص وهو نسبتها إلى المسيح «أنه الكلمة» (لوغوس). وبهذا المعنى يكون يسوع هو المعلن Revealers الأكمل الذي أعطى الإعلان النهائي لله. ليس فقط لمقدرته على الشهادة الكاملة، وليس فقط لإمكاناته الروحية التي لم يتمتع بها أي بشري. ولكن على أساس من هو وما هي طبيعته. وتُسَمَّع هذه الكلمة أربع مرات في الإنجيل: ٣ مرات في ١: ١ ومرة في ١: ١٤. ثم تُسَمَّع في يوحنا ١: ١ ثم في رؤيا ١٩: ٣ ولكن في الموضعين الآخرين لا تجد لها المعنى الذي يوجد في مقدمة إنجيل يوحنا. ولذلك فكل من معنى الكلمة عندما يُسمى بها الابن فإنما يجب أن يدرسها في المقدمة. ففي هذه المقدمة يعلن يوحنا أن يسوع هو ابن الله الأزلي الذي أعلن الله والذي «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ. وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» وبهذا نكتشف ارتباط الاثنين معًا النبوية والعمل... هو ابن وهو خالق: أي طبيعته وعمله. وبواسطة الاثنين هو المعلن والشاهد الحق للأب ولنفسه كما مر بنا وفي كل كتابه يقدم لنا الإنجيل مجموعة أخرى من الإعلانات فيها يظهر مجد يسوع:

أولاً: عندما يقدم يوحنا يسوع «بالكلمة» فإنه إنما يربط هذا الإعلان الجديد الكامل بما جاء من إعلان في العهد القديم. فالاثنتان لا يمكن فصلهما. وهذا ما يظهر في استخدام كلمة «الحق» خصوصًا في الإصحاح السابع عشر. إن السيد لم يأت ليصحح العهد القديم أو

ليخطئه. بل إن فيه صار الإعلان الذي جاء قبلاً منه خصوصاً في الكتاب المقدس في أوضح وأكمل حالاته.

فالكلمة «لوغوس» استُخدمت لتصف العهد القديم على أنه كلمة الله أو «كلمته» (٥: ٣٨، ٨: ٥٥، ١٠: ٣٥). فيسوع إذن هو كمال الإعلانات التي ظهرت قبلاً ولم يكن منقطعاً عنها. وهذا ما عبر عنه كاتب رسالة العبرانيين في افتتاحية رسالته. كل هذا لأن يسوع كان هو الكلمة العامل والنشط في كل الإعلانات التي سبقت. إنه هو وحده الذي كان يعلن الأب في الوسائل التي سبقت. ولهذا جاءت الإعلانات مترابطة وكان هو في قمتها لأنه هو نفسه الله.

ثانياً: إنه هو أيضاً الذي يعطي الإعلان في المستقبل في الكنيسة الرسولية. فالمسيح ليس فقط النشط في الماضي أي العهد القديم، والحاضر أي الإعلان في شخصه هو. بل في المستقبل أيضاً فالابن الأزلي هو المعلن قبل التجسد وبعد التجسد أيضاً عندما يفسر كل ما جاء في الماضي والحاضر أيضاً. ولعل يوحنا اهتم بهذه الفترة من إعلانات الابن أكثر من أي فترة أخرى.

ثالثاً: إن عقيدة الكلمة تربط كل أوجه الإعلان -ماضيه وحاضره ومستقبله- في وحدة واحدة. وهكذا تربط عقيدة المسيح ككلمة بين الإعلان الشخصي فيه وبين الوصايا والكلمات التي قالها. إن كلمات يسوع لها أهمية عظمى في هذا الإنجيل خصوصاً وهو يستعمل نفس اللفظ ليعني به كلمات يسوع. فيسوع يتكلم كلمات الله ويكشف عن الإنجيل. والسبب في ذلك أنه هو الكلمة الذي أعلن الله إعلاناً

كاملاً. ويبنى على تفرد يسوع الكلمة تفرد كلماته هو؛ فهو لم يعلم كالكتبة والفريسيين ولكنه تكلم كمن له سلطان.

من كل ما مضى يمكننا أن نذكر الملخص التالي:

- ١- يسوع هو موضوع شهادته ومضمون إعلانه وبهذا هو أعلن الأب.
- ٢- ولأن يسوع هو الكلمة فإنه استطاع أن يوصل الرسالة والإعلان إلى الناس.
- ٣- هذا الإعلان لا يقتصر على ناحية واحدة في حياته. بل يشمل شخصه وكلامه وأعماله. فهو مُركّز فيه ككل.
- ٤- ولأنه إعلان الله للناس فكل صفات وأعمال الله مُركّزة فيه أيضًا؛ فالله هو الحق ويسوع هو الحق. ومع ذلك فهذا الإعلان له صلته بما سبقه في العهد القديم والأنبياء.
- ٥- من هذا نستطيع أن نقول إن الإعلان في العهد الجديد جاء بوسيط وهو إعلان يحمل في نفسه سلطانه وقوته. بل هو إعلان فدائي أتى لخلاص الإنسان لأنه لم يقصد به بعض المعلومات. بل لإعلان خلاص الله الأبدي في المسيح.

٢- الشهادة الإلهية ليسوع المسيح:

في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا يشير يسوع إلى مجموعة من الشهادات كتأكيد على شهادته هو لنفسه: فهناك شهادة يوحنا المعمدان (٣٣-٣٥). وإلى جانب ذلك هناك شهادة آيات المسيح نفسه

ويقول عنها السيد إنها أعظم من شهادة يوحنا نفسه (ع. ٣٦). ثم تأتي بعد ذلك شهادة الكتب المقدسة (ع. ٣٧ - ٤٠). هذه المجموعة من الشهادات ليست شهادات محايدة لا شخصية. ولكنها شهادات شخصية لها هدف حقيقي هو التأثير في الناس لكي يستجيبوا ليسوع المسيح ويؤمنوا به. وليس ذلك فقط. بل أن السيد يشير إلى الأب عندما يذكر هذه الشهادات وتأتي هذه الإشارة في (ع. ٣٢) «الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ». ظن بعض المفسرين أن اسم الموصول يعود على يوحنا المعمدان. ولكن هذا التفسير لا يتماشى مع المعنى ولا تركيب الجملة. فالفعل يأتي في المضارع بمعنى الاستمرارية في الشهادة. وهذه لا يمكن أن تكون شهادة يوحنا التي جاءت في الماضي (ع. ٣٣): «لأن يوحنا في ذلك الوقت كان قد قُتل. وشهادة الأب المستمرة هذه ليست فقط ما حدث عند المعمودية السيد كما يقول يوحنا فم الذهب. ولكنها شهادة دائمة مستمرة لا يُقصد لها مرة واحدة فقط. ولكنها تظهر في الشهادات الثلاث التي تتبعها وهي شهادة يوحنا المعمدان وشهادة الكتب المقدسة ثم شهادة الأعمال التي قام بها المسيح. هذه كلها هي تعبير عن شهادة الأب للسيد. ولذلك فقط سُميت هذه الشهادات بالإلهية. وبهذه الكيفية يمكننا أن نقول إن الله الأب شهد في الكلمة النبوية (يوحنا المعمدان) ثم الكلمة المكتوبة أي (الكتب المقدسة) ثم الكلمة المعمولة (الآيات).

شهادة يوحنا المعمدان:

يهتم الإنجيل بشهادة يوحنا المعمدان اهتمامًا خاصًا فيذكرها كما جاءت في أربعة مواضع: الموضع الأول في المقدمة (١: ٦ - ٨، ١٥) ثم

شهادته أمام تلاميذه ما جعل بعضهم يتركونه ويذهبون إلى يسوع (١: ١٩ - ٥١). الموضع الثالث شهادته قرب عين ساليمة حيث كان يعمد (٣: ٢٢ - ٣٠). أما المرة الأخيرة فقد أشار السيد بنفسه إليها (٥: ٣٣ - ٣٥). ويلاحظ الدارس أن شهادة يوحنا المعمدان جاءت كما هي: فلم يحورها البشير لكي تلائم شهادته التي تذكرها الأنجيل الأخرى. ولذلك جاءت القصة بكيفية خاصة تتميز عن مثيلتها في متى ومرقس ولوقا. فمثلاً لم يذكر البشير عن وعظ المعمدان شيئاً ما جاء في الأنجيل الأخرى: فليس هناك ذكر للتوبة أو الدينونة. مع أنها كانت أموراً تتميز بها المعمدان. ثم لم يرد شيء عن توبيخه للرؤساء كما يذكر متى. وإلى جانب ذلك لم يذكر شيئاً عن معمودية يسوع مع أنها كانت نقطة هامة في حياة السيد. نعم لا يمكن لأحد ألا يشعر بها في انسياب قصة المعمدان وشهادته للسيد ولكن الحادثة نفسها غير واردة في الإنجيل. فلماذا فعل البشير ذلك؟ هناك شيء آخر يجب أن نذكره حتى يمكن الإجابة على هذا السؤال وهو الشهادة نفسها. إنها شهادة هامة جداً عند البشير. ولكنه لا يشرحها بل يتركها كما هي مثلما جاءت: فمثلاً قيل عنه إنه جاء ليشهد للنور ولكننا لا نسمع عنه أنه تكلم عن المسيح بعد تجسده. إنه هو النور أو خبز الحياة أو الكرمة أو الراعي أو غير ذلك. وأكثر من ذلك فإنه يترك العبارة «هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ حَاطِيَّةَ الْعَالَمِ» كما هي فلا يشرحها ولا يشرح كيف كان يسوع هو الفصح. مع أنه اعترف بذلك ضمناً في إبراده لقصة صلب السيد وقت ذبح خروف الفصح. ليبين أنه هو الفصح الجديد (١٩: ١٤ انظر ١٨: ٢٨)

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٠١

ومع ذلك فلم يوسع شرحًا في شهادة العمدان. فلماذا؟ في الحقيقة إن البشير فعل ذلك لأنه لم يرد أن يركز النظر على الشهادة نفسها. ولكن على يسوع الذي أشارت إليه الشهادة. إن المهم في القصة هو المشهود له. هو الذي يجب أن يُعلن وتوجه إليه الأعين. أما الشهادة فقد أدت دورها في ذلك أي في توجيه النظر إلى يسوع لكي يؤمن به الناس. والبرهان على ذلك إنه استبدل قصة المعمودية بالشهادة حتى لا تتجه الأعين إلى الحادثة نفسها. بل إلى يسوع ابن الله. ولهذا ذكر نزول الروح القدس كحماسة عليه ومجيء الصوت من السماء لا كأجزاء من قصة المعمودية. ولكن كعناصر مكونة للشهادة التي يقدمها. فعمل يوحنا العمدان كما جاء في يوحنا ليس الوعظ والمعمودية لأعداد الناس الملكوت الله. ولكن عمله هو الشهادة للمسيح والإشارة إليه لكي يؤمن الجميع به.

وعادةً تنقسم شهادة يوحنا إلى أقسام ثلاثة: الأول هو أنه يعترف أنه ليس هو المقصود بالشهادة. القسم الثاني هو إشارته إلى يسوع على إنه هو المرسل الذي ينبغي أن يلتفت إليه الجميع. أما القسم الثالث فهو النتيجة وهي إيمان الناس بيسوع وليس بيوحنا العمدان فمثلاً:

(١: ٦-٨) يوحنا جاء ليشهد للنور -لم يكن هو النور- لكي يؤمن الكل بواسطته.

(١٩-٥١) إنه صوت صارخ في البرية -إنه ليس المسيح ولا النبي- إيمان التلاميذ الأولين بيسوع.

(٣: ٢٧ - ٣٦) إنه صديق العريس - إنه ليس المسيح - الناس يُقْبِلُونَ إلى يسوع.

وفي شهادته أيضًا يعترف يوحنا بأن الابن هو سابق الوجود فكان أول شخص يؤمن ويشهد بذلك (١: ٣٠). وأن المسيح من السماء قد جاء وليس أرضيًا. بل هو فوق الجميع (٣: ٣١). وإنه هو ابن الله بالمعنى السامي الذي يسمو عن الفكرة في العهد القديم لأنه ابن الله الوحيد (١: ١٨). ولكن بأية كيفية كانت شهادة المعمدان؟ وتعبير آخر ما هو مركز المعمدان حتى يدلي بشهادته للسيد؟ إن المعمدان لم يكن هو الأول بين الشاهدين: إذ جاءت شهادة قبله. ولم يكن هو أعظمهم لأن هناك شهادة أعظم من شهادته وهي شهادة الأعمال التي يعملها السيد (٥: ٣٦). ومع ذلك فشهادة يوحنا هامة ولها مركزها لأنها شهادة النبوة. نعم إن المعمدان رفض أن يصنف نفسه بأنه هو النبي. ولكن هذا النبي هو الذي ذكره موسى في تثنية ١٨: ١٥. والذي رأت الكنيسة الأولى أنه يشير إلى المسيح (أعمال ٣: ٢٢، ٧: ٣٧). ومع ذلك فقد كان المعمدان نبيًا لأنه كان كاهنًا أتى من نسل الكهنة وكان نذيرًا. وبهذه الإمكانية كان نبيًا. وإلى جانب ذلك فقد قيل عنه إنه «مُرْسَل» (١: ٦، ٣: ٢٨) ولذلك فهو نبي. وإذا كان كذلك فهو ليس معلمًا. ولا مفسرًا للكتب. ولكنه صاحب إعلان مثل باقي الأنبياء. وكما كان يحدث للأنبياء عندما كان الإعلان يأتي لهم حدث له هو أيضًا. فهو يقول إنه لم يكن يعرف (١: ٣١ و٣٣) ولكنه عرف عندما جاءه الصوت ورأى العلامة. تمامًا كما كان الأمر مع إرميا أو إشعياء أو عاموس أو هوشع وغيره من الأنبياء من جاءتهم

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٠٣

العلامات فكشفت لهم أمور لم يكونوا يعرفونها من قبل. لقد رأى يوحنا العلامة وسمع الصوت (١: ٣٤). ولذلك كان كلامه ليس تفسيراً لإعلان سابق، ولكنه إعلان جديد. ولذلك وصفه السيد على أنه كان المصباح المنير الذي كان يضيء الطريق لغيره من الناس بالإعلان الذي يأتيه (٥: ٣٥).

هذه الشهادة لم تكن شهادة مؤقتة، جاءت لوقتها، ولكنها شهادة دائمة في كل العصور حتى يؤمن الكل بواسطتها. كما يقول السيد لليهود: «وَلَكِنِّي أَقُولُ هَذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ» (٥: ٣٤). لقد شهد للنور ليؤمن الكل بواسطته. فلم تكن شهادته لتلاميذه فقط ولا حتى ليهود عصره فقط. بل كانت للكل لعل الكل يؤمنون. ومن العجيب حقاً أن البشير لم يذكر نهاية حياة المعمدان. لم يذكر كيف أسلم وكيف قتل. ولعل البشير كان يقصد أن يُظهر أن هذا الرجل العظيم لا تكمن عظمته في حياته. بل في شهادته الإعلانية التي شهد بها للمسيح. ولهذا فلا نستطيع أن نقول إن يوحنا في العهد القديم فقط ولا في العهد الجديد فقط. ولكنه مع باقي الأنبياء. والرسل مستمرون في شهادتهم التي قدموها للسيد ليؤمن الكل بواسطتهم. سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد.

شهادة الآيات:

كانت شهادة يوحنا شهادة نبي ولها تأثيرها. ولكن صحته كانت تتوقف على إتمامها مثل أي نبوة أخرى. ولهذا السبب فقد أضاف السيد شهادة أخرى لا يمكن التهرب ولا التنصل منها وهي شهادة أعماله إذ

يقول: «وَأَمَّا أَنَا فَلِي سَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا. لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الْأَبَ لَأَكْمَلَهَا. هَذِهِ الْأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْأَبَ قَدْ أَرْسَلَنِي» (٥: ٣٦). وتُسمَّى أعمال السيد آيات. والآية σημεיא تعني علامة تشير إلى ما بعدها. فمثلاً كان الختان علامة على العهد الذي بين الله وبين إبراهيم (تكوين ١٧: ١١). انظر رومية ٤: ١١). ووجود الصبي في المذود - كما أخبر الملائكة الرعاة - كان علامة على مجيء الخلاص العظيم ووجود المخلص (لوقا ٢: ١٢). ويونان النبي وجوده في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ علامة وإشارة إلى وجود المخلص عندما يبقى في بطن القبر هذه المدة (لوقا ١١: ٢٩ و ٣٠). فالعلامة كما ذكرت هنا هي رمز. وآيات المسيح رمز على وجود الشخص الإلهي وحضوره بين الناس. وبهذا ترك إنجيل يوحنا معنى المعجزات كعلامة الشفقة والرحمة في قلب يسوع من نحو الناس وفسرها بأنها آية على ألوهية السيد. وعلى هذا الأساس يختتم يوحنا إنجيله بقوله: «وآيَاتٍ آخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ هَذَاكَ تَلَامِيذُهُ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. وَلِكَيْ تَكُونُوا لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ.» (٢٠: ٣٠ و ٣١). وكثيراً ما يكون للآية أكثر من رمز فتُعتبر جزءاً من العمل نفسه الذي تشير إليه مثل الرموز التي كان الأنبياء يقومون بها. ومن أهم الأمثلة على ذلك ما قام به حزقيال النبي: إذ رسم مدينة أورشليم على لبنة وجعل عليها حصاراً. ويقول في آخر الكلام: «نَلِكْ آيَةٌ لِبَيُّتِ إِسْرَائِيلَ» (حزقيال ٤: ١-٣). فهذا العمل لا يُعتبر فقط رمزاً للحصار بل هو فعلاً جزء من ذلك الحصار الذي حدث. وفي العهد الجديد يمكننا أن نعتبر العشاء الرباني والمعمودية ليسا فقط رمزاً أو آية. ولكنهما

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٠٥

يعبران عن حضور الرب ونعمته. هذا المعنى هو المقصود من الآية فر إنجيل يوحنا: فهي ليست للإعجاب. ولكنها لكي تقود الناس إلى الإيمان. إنها ليست علامة على قوة إلهية. ولكنها تعبير عن وجود الحق نفسه أو الله نفسه. ولهذا فهي جزء من حادثة المسيح فهي إذا إعلان. إنها إعلان جديد.

ويلاحظ في إنجيل يوحنا أن الآيات لا تقتصر على المعجزات، بل إن كل أعمال السيد -سواء أكانت طبيعية أم خارقة- تعتبر آيات، وهي علامات وإعلانات. لهذا السبب يقول يوحنا: «وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ» (يوحنا ٩: ٤، ١٠: ٢٥، ٣٢، ٣٧، ٣٨، ١٤: ١٠ و ١١ و ٢٤). هذه الأعمال كلها تشهد ليسوع وتعلن أن هذا هو ابن الله فهي شهادة له. كما يقول هو: «الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي.» (١٠: ٢٥ انظر ٣٦) «ولأن بعض آيات المسيح أكثر وضوحًا من الآيات الأخرى فإننا سنختار بضع آيات لنعرضها لنعرف كيف كانت أعماله تشهد له أو تعلنه أو تؤيد شهادته.

(١) تحويل الماء إلى خمر: (٢: ١ - ١١) جاءت هذه مباشرة بعد شهادة يوحنا المعمدان له. وقد عملها لكي يؤمن تلاميذه به عندما يرون مجده. هذه الآية تعلن القوة الخارقة لابن الله (٢: ٣). وأن يسوع قد جاء بالفرح في العهد الجديد الذي حل محل العهد القديم. وهذا التغيير وضع من ذكر يوحنا لتطهير اليهود. وفي التفسير الطقسي لإنجيل يوحنا كانت في هذا الخمر إشارة أو رمز إلى عشاء الرب (الخمر).

(٢) شفاء ابن قائد المئة: (٤: ٤٦-٥٤) هذه هي الآية الثانية وقد انتهت بإيمان هذا الرجل بيسوع. مع أن يوحنا لم يمتدح إيمان هذا الرجل كما امتدحته الأنجيل الأخرى (متى ٨: ٥-١٣، لوقا ٧: ١-١٠). بل يقول عنه إنه لم يؤمن إلا بعد أن رأى الآية (٤: ٣٥) وهذا ما جعل يسوع يتكلم عن الإيمان الذي يولد من الآيات والمعجزات (٤: ٤٨). ولقد تغير هدف الآية ودافعها من الشفقة إلى إظهار مجد الله.

(٣) شفاء المفلوج: (٥: ١-١٨) هذه هي الآية الثالثة التي فيها أظهر يسوع مجده حتى في وسط عدم الإيمان (٥: ٦ و٧). وإلى جانب نقص الإيمان لم يكن هذا الرجل مخلصًا للمسيح. بل كان أكثر إخلاصًا لليهود. إذ بعد أن شفاه يسوع ذهب وأخبر اليهود (٥: ١٥). هنا يظهر يسوع على أنه معطي الحياة. هذه الآية ترمز إلى قوة المسيح المخلصة خاصة في العمودية. أو إلى استبدال النظام اليهودي الضعيف بما فيه من غسلات وتطهيرات بقوة المسيح المخلصة.

(٤) إشباع الخمسة آلاف: (٦: ١-١٤) تظهر هذه المعجزة في الأنجيل الثلاثة الأخرى. وهي أول معجزة يتبعها ويُبني عليها الخطاب. إنها علامة على أن يسوع هو معطي الحياة للإنسان في صلته به. والتفسير الطقسي يفسر هذه الآية كرمز للعشاء الرباني وهذا واضح في المقدمة التي تبين أنه كان فصحاء لليهود الذي يشير إلى عشاء الرب (٦: ٤). هذه الآية وتفسيرها في الخطاب توضح بكل جلاء أن هدف الآيات هو صلة المؤمن بالمسيح بالإيمان (٦: ٣٥) ليس فقط «كمسيح الإيمان» بل ليسوع التاريخي الذي جاء بالإعلان. بل هو نفسه الإعلان والذي يعلن نفسه في العشاء الرباني.

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٠٧

(٥) المشي على الماء: (٦: ١٦ - ٢١) ليس من السهل أن نعرف قصد التبشير في إيراد هذه الآية؛ إننا لا نجد فيها حصًا على الإيمان أو فيها ما يشير إلى الرفض البشري. ولكنها قطعًا لإظهار مجد المسيح أمام تلاميذه خصوصًا في وقت الخطر.

(٦) شفاء المولود أعمى: (٩: ١ - ٤١) إنها سادسة الآيات. وتظهر فيها معجزتان: شفاء الرجل جسديًا ثم شفاؤه روحيًا. علامة هذه الآية مجيء النور إلى العالم لإنارة الناس. ويقارن يوحنا في هذه الآية إيمان هذا الرجل برفض اليهود فتظهر أن الدينونة تبدأ هنا على الأرض.

(٧) إقامة لعازر من الموت: (١١: ١ - ٤٦) آيات السيد متدرجة: المرض- الخطيئة- الموت ثم الانتصار عليه. والخطاب هنا مختلط مع القصة ومفاد هذا الخطاب هو أن يسوع هو قيامة الحياة. ونلاحظ في هذه الآية ما يأتي:

أ. الحياة الأبدية يتمتع بها الآن الذين يؤمنون بالمسيح يسوع.

ب. القوة التي تؤكد الحياة الأبدية هنا هي نفسها القوة التي ستقيم الأجساد من الموت.

ج. لأن لعازر كان سيموت مرة أخرى. فلا يمكن أن نعتبره مثالًا على القيامة المسيحية. بل يمكن أن نعتبر لعازر نفسه علامة لأنه كان يشير إلى المسيح الذي كان سيموت ويصبح باكورة الراقيدين (١٢: ١٨). ولذلك فقد صارت هذه الآية تؤدي إلى الإيمان وكذلك تؤدي إلى أقصى أنواع الرفض (١١: ٤٥ - ٥٣، ٢: ١٧ - ١٩).

(٨) **قيامه المسيح يسوع:** (٢٠: ١ - ٢٩) إنها ليست واحدة من الآيات التي يذكرها البشير هكذا فلم يصف كيف حدثت ولم يذكر أن أحدًا من الناس رآها. بل إن يسوع هو الذي كشف عنها بظهوره لتلاميذه بعد القيامة. ومع ذلك فلا يمكن ترك هذه الآية لأنها أعظم آية قام بها السيد. في (٢: ١٨ و ١٩) يشير السيد إلى موته وقيامته كعلامة. ومرتين يستخدم كلمة «مشيرًا» إلى صليبه (١٤: ٢٣). لقد صارت القيامة المضمون الواضح للبشارة والكيرجما التي بشر بها الرسل الأوائل وصارت العلامة التي كانت تشير إليها كل الآيات. ففي ضوء موت المسيح وقيامته نستطيع أن نفسر كل الآيات الأخرى. فالآيات في يوحنا لم تكن للشفقة بل لإظهار مجد المسيح حتى يؤمن الناس به أو يرفضوه. هذه الآية أيضًا تعلن حضور المسيح المستمر في الكنيسة فلها إذًا علامة عبادية Liturgical.

هذه هي أوضح الآيات التي قام بها السيد. ونلاحظ أن ثلاثًا منها اتصلت بخطابات لتشرح معناها. ولكن بعضها -كتحويل الماء إلى خمر وشفاء ابن قائد المئة وغيرها- ليس لها صلة بخطابات قالها المسيح وبتركها البشير دون شرح. ولكنه يعلن في مجرى حديثه إنها إما أن تؤدي إلى الإيمان أو إلى الرفض. إذًا معجزات يسوع هي كيرجما والكيرجما هي كلمة الله فهي ليست منعزلة. ولكنها كلمة معمولة. إنها لا تفترض الإيمان. بل تؤدي إليه وهي ليست جزءًا من الإيمان. بل هي أيضًا محك يُعرف به المؤمن والرافض.

بقي أمر واحد بخصوص شهادة الآيات وإعلانها. هذا هو أن المدرسة الألمانية تترك بالقول الذي قاله السيد لتوما: «... طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» ثم يرفضون أن يربطوا الإيمان بالمعجزات أو أي من آيات المسيح؛ لأنهم يقولون إن الإيمان لا يُبنى على المنظور أو الملموس^{١٩} وحتى في إشارة يسوع إلى شهادة يوحنا المعمدان أو الأعمال أو الكتاب المقدس لا يكمن موطن الإيمان. فهذه لا صلة لها به ولا أهمية لها في تكوينه. إن هذا الرأي ضعيف فإن أعظم شهادة للحق هو الحق نفسه. ويظهر ذلك في شهادة المسيح لنفسه. نعم إن الإيمان يأتي عن طريق أعلى من الحواس. ولكن الشهادات الملموسة هي عوامل مساعدة. ولكن في إنجيل يوحنا تأتي آيات يسوع ليس فقط كعوامل مساعدة. ولكنها أيضًا قناة للإعلان لتوصيله. ولذلك فهي مؤيدة لتعاليم المسيح. وتعاليم المسيح وأعماله متفقة معًا (يوحنا ١٠: ٣٧ و٣٨). إن المعجزات في إنجيل يوحنا ليست وليدة الإيمان. ولكنها مولدة للإيمان. وعدم الإيمان الذي يشوب حياة لا يأتي من نقص في المعجزات. ولكن من العمى الروحي «وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هَذَا عَدَدَهَا. لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ. لِيَتِمَّ قَوْلُ إِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَ: يَارَبُّ. مَنْ صَدَقَ خَبَرْنَا؟ وَلَنْ اسْتَعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ لِهَذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لَأَنَّ إِسْعِيَاءَ قَالَ أَيْضًا: قَدْ أَعْمَى عُيُونُهُمْ. وَأَعْلَظَ قُلُوبَهُمْ. لِيَلَّا يُبْصِرُوا بَعْيُونَهُمْ. وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ. وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ» (يوحنا ١٢: ٣٧ - ٤٠).

19- Rudolf Bultmann, *Theology of the New Testament*, Part 1, London: SCM Press, 62.

شهادة العهد القديم:

(٥: ٣٩) لعل الشهادة التي أكثر السيد من الإشارة إليها. وذكرها أكثر من غيرها. هي شهادة العهد القديم. بل هي شهادة لم يذكر أنها أقل نائيًا من غيرها كما قال عن شهادة المَعمدان مثلاً (٥: ٣٦). ولكنه رَفَعها جدًّا وأعطاهَا مركزًا كبيرًا لأنها كلمة الآب (٥: ٣٧ - ٤٠) ولو كان اليهود قد صدقوها حقيقة لكانوا قد آمنوا بالسيد (٤٥: ٤٧). في هذا الجزء من الكلام يعلن السيد عدة أمور.

- ١- إن العهد القديم قد تم فيه لأنه يشهد له وهذا أقصى ما جاءت من أجله الكتب.
- ٢- إن اليهود الذين لم يؤمنوا فعلوا ذلك لأنهم أساءوا فهم العهد القديم ولم يصدقوه.
- ٣- العهد القديم سوف يشير بأصبع الاتهام إليهم ويكون ديانًا لهم في يوم الدينونة.

أما عن الأمر الأول فإنه من المعروف أن الإنجيلي يورد الشهادات الثلاث لإبراهيم وموسى وإشعيا ليس لقيمة في ذاتها. ولكن لأنها تشير إلى المسيح. فموسى لم يعطهم الخبز بل الآب السماوي والخبز هو المسيح (١: ٣٢ و٣٥). نعم لقد رفع موسى الحية في البرية للشفاء للذين لدغتهم الحية. ولكن ذلك كان يشير إلى رفع ابن الإنسان الذي يخلص كل من يؤمن به وتكون له الحياة الأبدية. ففي المسيح تُتم بصفة نهائية ما ذُكر في العهد القديم. وهناك ملاحظة يلاحظها الدارسون

وهو أن يوحنا لم يكن مكثراً في اقتباساته من العهد القديم كما فعل الإنجيليون الآخرون. نعم اقتبس كثيراً من النبوات والإشارات التي تمت في حياة المسيح، ولكنها لم تكن بالكثرة التي في الكتب الأخرى. هذا حق. ولكن الإنجيل الرابع لم يعتمد على كثرة الشواهد التي يوردها من كتب موسى وبقية الكتب؛ لأنه كان يعرف أن العهد القديم في كليته كان يشير إلى العهد الجديد والمسيح. وربما يكون قد اقتبس اقتباسات استخدمها أحد الإنجيليين قبله. ولكنه عندما يقتبسها فإنه يدخلها في أفكاره اللاهوتية. ولكن المهم - كما سبقت الإشارة - هو في شهادة العهد القديم الكلية. وتتضمن هذه الشهادة الكلية في إirاده ثلاث شخصيات يمثلون العهد القديم كله: إبراهيم أعظم الآباء وأولهم. ثم موسى وسيط الناموس. وأخيراً إشعياء أهم الأنبياء. وكلهم مذكورون بالاسم في علاقتهم بالشهادة للمسيح:

إبراهيم: (٨: ٣٣ - ٥٩) في هذا الجزء يقول اليهود بكل كبرياء إنهم أولاد إبراهيم. فيقول يسوع إنهم كذلك ولكن بالجسد وليس بالروح. فلو كانوا أولاده روحياً لما ترددوا في الإيمان به هو. ولكن في الحقيقة هم من أب واحد وهو إبليس. ويذكر السيد أنه قبل إبراهيم هو كائن ويقول أيضاً: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلُ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَقَرِحَ» فكيف رأى إبراهيم يوم المسيح؟ على هذه الرؤيا تستند شهادة إبراهيم له. وهي في الحقيقة ليست رؤيا العين بل رؤيا روحية. فهل هي رؤيا الإيمان الذي ميز إبراهيم عن الجميع (وستكوت ومن قبله كلشن) أم هي إعلان أعطي لإبراهيم عن خدمة السيد وعمله وقد تم في تجسد السيد على الأرض (هوسكنز وباريت)؟

موسى: كما تمت خبرة الآباء وإيمانهم والإعلانات التي جاءت لهم في المسيح. هكذا تمت النواميس والفرائض والطقوس فيه: فهو الخبز الحي النازل من السماء. وهو الذي رُفِعَ على الصليب كما أشارت إليه الحية في البرية. ويوم السبت أخضعه السيد في خدمته (٢٢: ٧ و ٢٣) وإذا كان موسى قد جاء بالناموس فإن النعمة والحق ببسوع المسيح صارا (١٧: ١) فشرائع موسى كلها إعداد للمسيح ولو كان اليهود قد آمنوا بموسى لآمنوا بالمسيح (٥: ٤٦ و ٤٧).

إشعيا: أشار إليه يوحنا مرتين: المرة الأولى عندما تكلم عن خدمة المعمدان (١: ٢٣). أيضًا إشعيا (٤٠: ٣) والمرة الثانية لكي يوجد الأساس على قسوة اليهود وتصلب رقابهم وعدم إيمانهم بالمسيح فقد تمت فيهم نبوة إشعيا (١٢: ٤١). انظر إشعيا (٦: ١٠).

في الإصحاح الخامس أيضًا أعلن المسيح أن اليهود قد أساءوا فهم الناموس حتى أنهم كذبوا في أمرين: الأمر الأول هو ظنهم أن ديانتهم كلها وانتظاراتهم للمسيا هي أشياء ملك لهم. وقد مُنِحت لهم نظرًا لامتيازهم كشعب وليس لنعمة الرب عليهم. كان يجب أن يخضعوا لله ولأوامره ويفعلوا كل شيء من دافع أنهم هم ملك لله. وهو الذي اختارهم له شعبًا.

الأمر الثاني، هو خطأهم في قولهم إن في الكتب حياة لهم. مع أن هذه الحياة يعطيها الله. ولذلك لم ينظروا إلى الله وينتظروه في شخص ابنه الذي جسده. ولم يعرفوه عندما رأوه. هذا الموقف جرّهم إلى

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١١٣

عدة أخطاء أخرى: فمثلاً ظنوا أن الناموس كامل وفيه الكفاية لهم. ولم يعرفوا أن إعلان الناموس ليس كاملاً. بل كان ينظر إلى الأمام وينتظر الكمال في المسيح يسوع ابن الله. وقد أوضح السيد لهم التناقض الذي يحدث عندما نفسر الناموس حرفياً دون النظر إلى كماله في المسيح. ففي ٧: ٢٢- ٢٤ هم يختنون الإنسان -أي الطفل- بعد ولادته في اليوم الثامن. فإذا كان هذا اليوم هو يوم السبت فإن ختانه جائز بل وواجب. فلماذا يقفون إلى هذا الحد؟ فإذا كان المسيح يشفي كل جسد الإنسان في السبت فهل هذا خطيئة؟ (ع. ٢٣). وهناك مَثَلٌ آخر: فقد افتخروا بإبراهيم والبركات التي يأخذونها لبنويتهم لإبراهيم. وظنوا أنها كاملة. ولم يعرفوا أن إبراهيم نفسه كان ينظر إلى الأمام وعندما رأى يوم المسيح فإنه تهلّل لأنه رأى فيه كمال الإيمان وإتمام الرجاء الذي كان ينتظره. ولعل أهم مثل على كبريائهم هو ما حدث في قصة الرجل المولود أعمى عندما يقولون: نحن تلاميذ موسى وهو قد أعطى الناموس لنا. ولهذا فقد عميت بصيرتهم فلم يعرفوا أن الرب قد قدّس هذا الرجل وجعله -أي الرب- يفعل المعجزات (٩: ٣٣). أوليس من السخرية أن يصل بهم تمسكهم بالناموس إنهم يتنصلون من ذات الناموس ويصرخون لكي يتمموا مآربهم: «ليس لنا ملك إلا قيصر»؟ (١٩: ١٥).

هناك أمر آخر وهو أنهم يفتشون الكتب المقدسة لأنهم ظنوا أن فيها حياة لهم. أما الكتب فهي في الحقيقة تشير إلى المسيح. لم يقصد يوحنا بقوله «فتشوا الكتب» أو «تفتشون الكتب» أنه يجب أن نعطي تفسيراً جديداً للكتب المقدسة، ولكن المطلوب في

الحقيقة أبعد من ذلك: هو الولادة الجديدة كما فسرها السيد نفسه مع نيقوديموس (٣: ٣). عدم تغييرهم هذا هو مشكلتهم الكبرى؛ إذ جعلهم باقين في عماهم فلم يستطيعوا أن يفهموا آيات المسيح ولا شهادة يوحنا المعمدان. إنهم ناقصون في الحجة (٥: ٤٢ و٤٤). ومع ذلك فإن خطيتهم وعدم فهمهم للكتب لا تغير مجد هذه الكتب ولا مجد شهادتها للمسيح. فلو آمنوا بموسى لآمنوا بالمسيح (٥: ٤٦). فالدراسة والتفتيش واجب. ولكن بضمير صالح وقلب ملوئ بالحجة.

أما الأمر الثالث والأخير فإن يسوع أعلن أن العهد القديم سوف يشكو اليهود (٥: ٤٥) فأمامهم خطر الدينونة. هذا الجزء لا يتناقض مع ٥: ٢٧ أو ١٢: ٤٨ لأن الكتب هنا هي الشاكية وليس القاضي الذي يدين. فإن القاضي الذي يدين هو المسيح نفسه. أما الشهود فهم الشاكسون. هؤلاء الشهود الثلاثة: أي الكلمة النبوية (المعمدان). الكلمة المعمولة (الآيات) والكلمة المكتوبة (الكتب المقدسة). هي المضمون الذي تضمنته الكيرجما والدفاع في الكنيسة الأولى. فالمبشرون الأوائل والمدافعون أيضًا اعتمدوا على هذه الشهادات لكي يقدموا الإنجيل إلى العالم وخاصة اليهود. وهذه الثلاثة تشترك في الإعلان. ففيها جاء إعلان من الله. ولكنه إعلان غير مكتمل لأنها جميعها تشير إلى الإعلان الكامل الوحيد. الذي هو يسوع المسيح نفسه. الذي أعلن الآب في شخصه وحياته. ويطلق الدارسون عليها الشهادات «الخارجية» في مقابل شهادة الروح القدس الداخلية. هذه الشهادات الخارجية تتلخص في الأمور التالية التي سبق ذكرها:

• **يوحنا المعمدان:** إنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم. إنه الابن السابق الوجود. ابن الله.

• **الآيات:** إعلان مجده ثم توضيح عملي لتعاليمه.

• **الكتب المقدسة:** فهم شخصية المسيح «المنتظر» كما فهمها نثنائيل... ثم فهم حوادث حياته وصلبه وقيامته.

هذه الشهادات ليست شهادات وقتية وترتبط بعصر معين. ولكنها شهادة لكل زمن ولكل مكان. حتى شهادة يوحنا المعمدان الذي تكلم في وقت معين لها طابع الاستمرار؛ فهي تشهد وتعلن يسوع لكل من يسمعها أو يقرأها. وكذلك الكتب المقدسة التي تمت شهادتها في المسيح يسوع فإنها لازالت تشهد وتعلنه وتقود الناس إليه. أما الآيات التي يظن البعض أنه لم يكن لها سوى تأثير مؤقت، فهي أيضًا شهادة مستديمة خاصة في الطقسين الكنسيين المعمودية والعشاء الرباني؛ حيث إن بعض الآيات كانت رموزًا إليهما.

هذه الإعلانات من يرفضها فإنها تشكوه وهناك الديان الذي يدين الرافضين.

٣- الشهادة البشرية ليسوع المسيح

إنجيل يوحنا يتشابه مع الأنجيل الثلاثة في هذا الموضوع أي في الشهادة البشرية. مع أنه يذهب إلى أبعد منها في إظهار طبيعة هذه الشهادة. ففي الإنجيل الثالث وسفر الأعمال يعطي لوقا الرسل أهمية خاصة. فهم الذين رأوا الرب واختبروه ثم شاهدوه بعد قيامته. وعلى هذا الأساس. أساس رؤية الرب المقام. يدافع الرسول بولس عن رسوليته

فيؤكد على أنه دُعي من بطن أمه (غلاطية ١: ١٥) وأنه رأى الرب المقام (أعمال ٩: ١-٢٢) وأنه تسلم منه إرساليته (١كورنثوس ١٥: ٣) وكذلك رسالته (١كورنثوس ١١: ٢٣). وهكذا كان للرسول أهمية عظمى رغم ما يدعيه بعض العلماء.

أما إنجيل يوحنا فيورد تقاليد مشابهة لما جاء في بقية العهد الجديد. وخصوصًا في الأناجيل وكتابات الرسول بولس. ولكنه يؤكد على دورهم في تثبيت الشهادة لمدة أطول. ويظهر ذلك خاصة في صلاة المسيح الشفعية في إصحاح ١٧. إذ ينقسم هذا الإصحاح إلى أقسام ثلاثة: القسم الأول صلاة خاصة بالمسيح نفسه (١٧: ١-٥) ثم يأتي القسم الثاني وهو صلاة خاصة من أجل التلاميذ (١٦: ١٩) وأخيرًا يصلي السيد من أجل الذين يؤمنون أي للكنيسة كلها (٢٠: ٢١-٢٦) ثم يكرر إرساليته لهم في (٢٠: ٢١ و ٢٢) «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «سَلَامٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسِلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ». هذا إلى جانب ما يتشابه فيه يوحنا مع لوقا في أنهم كانوا مع يسوع وشاهدوه إذ يقول السيد: «وَتَشْهَدُونَ أَنَّكُمْ أَيْضًا لَأَنْتُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ» (يوحنا ١٥: ٢٧). ثم عرفوه بعد قيامته وكانوا معه (٢٠: ٣٠ و ٣١).

ولكن يوحنا يذهب إلى ما بعد لوقا وبولس في عقيدته في الرسل: إذ يذكر أن السيد وضع شهادة التلاميذ أو الرسل إلى جوار شهادة الروح القدس نفسه. فهي إذا إعلان كما أن شهادة الروح كما سنرى فيما بعد (١٥: ٢٧). ولكن يظهر جلال شهادة التلاميذ في الأمور الثلاثة التالية:

١١٧ | الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي

(١) المسيح يرسل تلاميذه في إرسالية تماثل إرساليته هو الذي أخذها من الآب «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا» (٢٠: ٢١) وإذا كان البشير يستخدم الكلمتين ἀποστολή ثم pempō عندما يعبر عن إرسالية الآب للابن (٤: ٣٤، ٥: ٢٣ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٧... إلخ) فإنه يستخدم نفس الفعلين عندما يرسل المسيح المقام تلاميذه (٤: ٣٨، ١٣: ٢٠، ١٧: ١٨) وبهذا يماثل السيد بين إرساليته هو وإرسالية التلاميذ. وبذلك تكون إرسالية التلاميذ هي امتداداً لإرساليته هو.

(٢) في (٢٠: ٢٢) يقول البشير: «وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَّ» يظن بعض العلماء أن هذه الحادثة تقابل عطية الروح القدس في يوم الخمسين. ولكن الحقيقة أنه لا يمكن أن نطابقهما معاً لأن هذه العطية أُعطيت في إطار الإرسالية العظمى التي أعطاها السيد لتلاميذه. فعطية الروح القدس -بهذه الكيفية وفي هذا الموقف- تدل على أهمية الإرسالية وعلى تقدير البشير لها وعلى السلطان الذي أُعطي للتلاميذ. ولعله يذكر أنهم هم وحدهم لأن فيهم الروح القدس بتلك الكيفية وقبلوا الإرسالية من الرب يمكنهم أن يرشدوا الكنيسة ويشهدوا للسيد وتكون شهادتهم إعلاناً يؤكد شهادة السيد لنفسه وإعلانه للآب.

(٣) أما الأمر الثالث فإن يوحنا يذهب إلى ما بعد الرسل الآخرين في تعبيره عن أن التلاميذ لم يروا فقط. ولكنهم رأوا وفهموا. وهذا ما يكرره البشير في مواقف كثيرة: فمثلاً استطاعوا أن يفهموا ما قاله لليهود: «انْقَضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ. وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». يقول البشير: «فَلَمَّا قَامَ

مِنَ الْأَمْوَاتِ. تَذَكَّرْ تَلَامِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا. فَأَمَّنُوا بِالْكِتَابِ وَبِالْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ.» (يوحنا ٢: ١٨ - ٢٢) وهكذا.

إذاً يمكننا أن نقول إن إرسالية السيد إلى هذا العالم استمرت قائمة ونشطة حتى بعد صعوده إلى الآب. وذلك في إرسالية رسله. فالروح القدس يؤيد ويؤكد ويُفسِّر كل ما قاله لهم. ولهذا صار كلامهم جزءاً من الإعلان. وأن شهادتهم هي شهادة الرب. الكلمة الذي يتكلم فيهم. ليس ذلك أن كل رسول عنده كل الحق. ولكن كل واحد منهم عنده جزء من الإعلان والحق. وكلامهم كلهم هو الحق الذي أعلنه الروح القدس فيهم. وهكذا يعمل الروح القدس في الذين يؤمنون فيفهمون ما قاله الروح القدس للرسل. كما فهم الرسل كلام السيد بواسطة الروح هكذا يعطي الروح النور لكل مسيحي مُخلص لكي يفهم كلام الرسل ويفسره. ليس معنى ذلك أنهم خلفاء الرسل لأن الرسل كحامل للإعلان ليس له خليفة يحل محله. إن الرسل نفسه يستمر في الكنيسة ليس في إنسان. ولكن في كلمته التي أخذها من الرب وشهد بها للرب.

الشهادة البشرية الأخرى: هناك شهادة بشرية أخرى. إنها ليست غير عادية وفوق الطبيعة. ولكنها تخرج من أناس كان لهم صلة ما بالمسيح مثل المرأة السامرية. والجمع الذي كان عند قبر لعازر. والرجل المولد أعمى (مع أن البشير لا يذكر عنه أنه شهادة) هذه الشهادة البشرية تتميز بما يأتي: أنها استجابة للشهادة أو الإعلان الذي ظهر في المسيح يسوع. ثم استجابة للإعلان الداخلي لفهم معنى تلك الحوادث في حياة المسيح كما يوضحها الروح القدس. هذا الإعلان الخارجي

في حياة المسيح والداخلي الذي يقوم به الروح القدس يُظهر أن كل شيء في يد الله، وهو الذي يأخذ المبادرة، والاستجابة هي الرد الطبيعي للمؤمن الذي ينصت لإعلان الله في حياة يسوع وإنارة الروح القدس له لفهم حقيقة هذه الحوادث. وهكذا يشهد المؤمن بما رأى وفهم.

على أن موضوع هذه الشهادة ليست خبرة المستجيب نفسه. إنه لا يتكلم عن نفسه وعن خبرته كموضوع الشهادة ولكن الموضوع الحقيقي هو يسوع. ومع ذلك فهذه الشهادة لها قوتها وتأثيرها لأنها تركز عليه وعلى تأثيرها في المؤمن. فمثلاً حينما شهدت المرأة السامرية لم تتكلم عن يسوع صانع المعجزات ولكن يسوع الذي قال لها كل ما فعلت وغيرها. هذا مع أن التركيز هو على يسوع الذي غيّر هذه المرأة وملا جرتها.

وهي أيضاً استجابة لعمل داخلي لله بالروح القدس. ولكي يوضح البشير هذه الخبرة الداخلية بالروح القدس يستخدم مجموعة من الألفاظ الهامة:

«قيل شهادته» (٣: ١١ و ٣٢ و ٣٣).

«سمع» (٦: ٤٥، ٨: ٤٧، ٩: ٢٧).

«رأى» (١: ٣٤، ٣: ١١ و ٣٢).

وغير ذلك مثل «عرف» و«آمن» وهذا ما قاله يسوع: «... وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (١٨: ٣٧). والاختباران -الخارجي والداخلي- لا ينفصلان. وهذا يتضح في تأثير الآيات التي قام بها يسوع: فهي علامات خارجية لها تأثير داخلي.

هذا الاختبار لا يقف عند حدٍّ، بل لابد له أن يصل إلى نقطة «الاعتراف» confession كما فعل الرجل الأعمى إذ قال: «أَوْمِنْ يَا سَيِّدُ! وَسَجَدَ لَهُ.» (٩: ٣٨). والمرأة السامرية تدرجت في اعترافها: «أَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ»، «أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا يَعْقُوبَ»، «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!». «أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟» (٤: ٩ و ١٢ و ١٩ و ٢٩). بل هذا يظهر بكل وضوح في مقابلة التلاميذ الأوائل للمسيح إذ نقرأ عنه «مسيحا» النبي الذي كتب عنه موسى والأنبياء «ابن الله ملك إسرائيل» (يوحنا ١: ٤١-٥١). وآخر الكل -بل أسمى اعتراف قيل للسيد- ما قاله توما بعد أن استجاب لما رأى في يدي السيد وجنبه: «رَبِّي وَإِلَهِي!» (٢٠: ٢٨).

هذه الاستجابة المسيحية والشهادة لا تنصب على أمر مضي، ولكنه في الحاضر أيضًا؛ فإن حياة المسيح وعمل الروح في إنارة المؤمن ليفهم شهادة المسيح هي في الحاضر والمستقبل، ولأنها حاضر فلا بد أن تكون أخلاقية سلوكية.

٤- شهادة الروح القدس (الباراقليط)

أ. الشهادة الداخلية للروح (الرؤية والإيمان المسيحي):

شهادة الروح القدس الداخلية تعني نشاط الروح القدس الذي يؤدي للخلاص لكل من يسمع الإنجيل المقدس؛ وذلك لأن الحقيقة التي يتعلمها تصبح معلنة لعقله بالروح القدس. فيقتنع بصدقها وإنها حق. فيؤدي ذلك الاقتناع إلى النتيجة المباشرة وهي الخلاص. وفي الكتاب المقدس يظهر أن الروح القدس هو العامل النشط في ولادة الإنسان من فوق (يوحنا ٣: ٨). وفي قيادة التلاميذ وتذكيرهم بكل ما قاله السيد

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٢١

لهم قبل صعوده (١٤: ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ١٢-١٥). وفي تعليم المؤمن كيف يسلك ويعيش (أيوحنا ٢: ٢٠ و ٢٧). ولهذا نرى أن شهادة الروح القدس هي الوجه الداخلي في الإنسان المقابل للوجه الخارجي الموضوعي أي شهادة يسوع المسيح كما ظهرت فيه ودوّنت في الكتاب المقدس.

ولكن عقيدة الروح القدس في كتابات يوحنا. وخصوصًا الإنجيل. لها صعوباتها. وأول تلك الصعوبات هي إذا كنا نترجم الكلمة Paráklētos في المبني للمجهول أو المبني للمعلوم: فإذا تُرجمت في المبني للمجهول كانت تعني «المدافع» أو الشخص الذي يسعى ليقف إلى جانب آخر في حاجة. وهذا المعنى استخدم للمسيح نفسه: أنه مدافع أو شفيع (أيوحنا ١: ٢). وبهذا المعنى أيضًا يمكن أن يكون الروح القدس شفيعًا للتلاميذ. ولكن هذا الرأي لا يظهر في إنجيل يوحنا: فإن العمل الذي يقوم به الروح القدس للتلاميذ هو أن يعلمهم ويكشف لهم أمور المسيح. وفي نفس الوقت يدافع عن المسيح نفسه أمام العالم ويتهم العالم (١٦: ٨-١١). هذا إذا كان المعنى في المبني للمجهول. أما إذا كانت الكلمة تُفهم على أنها مبني للمعلوم فإنها تعني «معزّي». ولكن هل يمكن أن نوفق بين معنى الروح كمعزّي وبين عمله القضائي كمحامٍ للتلاميذ أو مُتهَم للعالم؟ في الحقيقة لا يمكن أن نفهم دور الروح القدس في الإنجيل الرابع إلا إذا فهمنا الإطار الذي وضع فيه البشير هذا الدور. وهو إطار الإيمان belief أو كما يسمونه في الدراسات الحديثة «يرى ويؤمن» seeing and believing.

يرى ويؤمن: إذا كان الرسول بولس يربط الإيمان بالسمع (رومية ١٠: ١٤ و ١٧) فإن البشير هنا يربط الإيمان بالرؤية. والموضوع الذي يقصد

بالرؤية هو يسوع نفسه. فهو يبدأ إنجيله بعبارة «رأينا مجده» (١: ١٤) وينتهي منه بعبارة «وآياتٍ أُخَرَّ كَثِيرَةٌ صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِنُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. وَلِكَيْ تَكُونَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ» (٢٠: ٣٠ و ٣١). ويذكر كلمة «يؤمن» في الإنجيل فقط حوالي مائة مرة، ثم يركز أيضًا على الرؤية والإحساس والتذوق والسمع من يسوع المسيح حرفيًا. وفي شهادته الشخصية يربط معظم هذه الأفعال معًا (٢٠: ٨ انظر ١: ١٤، ٤٠: ١٢ - ٤٤: ٤٦، ٤٤: ٥: ٢٤). فالكلمة يؤمن believe تساوي يؤمن have a faith لأن يوحنا لا يستعمل الكلمة الثانية إلا في يوحنا ٥: ٤ لأنه يستعمل الفعل دائمًا. فالإيمان كخبرة مسيحية أساسية لا ينفصل عن النظر والرؤية بحسب إنجيل يوحنا. ولكن يواجهنا السؤال: ما معنى النظر؟ وكيف يرتبط النظر أو الرؤية بالإيمان؟ وكيف يمكن تحقيق القول في يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١ مع أن يسوع صعد إلى السماء وهذه الآيات حدثت منذ زمن بعيد؟ يجيب كولمان^{٢٠} على ذلك أن الرؤية والإيمان في إنجيل يوحنا مرتبطان معًا وفي نفس الوقت متميزان. ففي قصة إقامة لعازر تآخر المسيح عن المجيء لشفاء المريض لكي يرى تلاميذه المعجزة ويؤمنوا (١١: ١٥). واليهود الذين كانوا هناك رأوا وآمنوا. في حين أن بعضهم رأى ولم يؤمن. فالعملان - الرؤية والإيمان - مرتبطان ومتميزان معًا. ثم هناك الاختبار الذي يفتتح به الإنجيل مع التلاميذ الأوائل «تعال وانظر» (١: ٣٩ و ٤٦). ولعل أهم قصة في هذا المضمهر هي قصة توما: فقد نذكر كثيرًا

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٢٣

أن توما مثال للشك. ولكن الأمر أعمق من ذلك. فتوما لكي يكون رسولاً مثل باقي الرسل يجب أن يرى مثلهم. ولما رأى اعترف «ربي وإلهي». فالأمر لم يتوقف إلى حد الرؤيا واللمس ولكن تعداه إلى الإيمان لأن هذه الرؤية لم تكن بالعين واللمس فقط ولكن بالفهم الذي يعطيه الروح القدس الذي قبلوه عندما نفخ فيهم المسيح. ولكن ماذا عن الذين قال عنهم السيد: «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا»؟ (٢٠: ٢٩) هؤلاء وإن كانوا لا يستطيعون أن يروا بالعين المجردة كما كان الحال مع توما وباقي التلاميذ إلا أنهم يجب أن يروا روحياً من خلال شهادة توما والرسل التي أثبتت في الإنجيل. ولكن إلى جانب تلك الرؤية يجب أن يضاف إلى هذا ذلك العمل المسيحي المؤدي للخلاص وهو الإيمان. وهذا الإيمان والفهم الحقيقي هو عمل الروح القدس. ومن هذا يمكن القول إنه لا يوجد إيمان دون نوع من الرؤية. وخاصة تلك التي تنبع من شهادة الذين شاهدوا بأعينهم. ومع ذلك فإن الإيمان يمثل خطوة أبعد من مجرد الرؤية وهذا البعد الجديد الذي يمثلته الإيمان هو العامل الأصيل في الخلاص والدينونة بحسب موقف الذين يرون ما عمله يسوع. وما شهد به الرسل. وما تبشر به الكنيسة ومن خلال الطقوس المسيحيين.

ويلوح أن هذه النظرية كلها. الرؤية والإيمان. كانت هي الشغل الشاغل للبشير حتى أنه أنهى إنجيله عندما كان يتساءل لماذا آمن البعض وتقسى الآخرون؟ وكان جوابه على ذلك هو ما جاء في (إشعياء ٦: ١٠). انظر ٣٧-٤٣). ولكن هذا عن التقسّي. إما عن الإيمان فلا بد أن يكون هناك معجزة. عمل إلهي خارق للطبيعة. وولادة جديدة كما

بشرحها السيد لنيقوديموس معلم اليهود (٣: ٧ و ٨). وما أوضح هذه الحقيقة في قصة الرجل الذي ولد أعمى وشفاه المسيح. لقد حدث هنا معجزتان. هما الشفاء الجسدي ثم الرؤية الروحية أي الإيمان. لقد تدرج الرجل في إيمانه وصار أول المؤمنين بيسوع من اليهود الذين تمسكوا به. وفي مقابل ذلك تقسّى اليهود المروع الذين رأوا معجزة الجسد ثم رفضوا الإيمان وأصبحوا عمياناً روحياً ووقعوا تحت طائلة الدينونة (٩: ١-٤١). هذا الإيمان أيضاً هو إيمان الذين يرون وتحدث لهم معجزة الانفتاح الإيماني بالروح القدس. إن الروح القدس لا يخلق الحق أو موضوع الإيمان. ولكنه يعطي الرؤية لفهمه والإيمان به. وهو يفعل ذلك منذ أن صعد السيد وأرسله للمؤمنين (يوحنا ٧: ٣٩) فالرؤية لم تخلق فقط في حياة الذين عاصروا السيد ورأوه. بل في حياة الجميع بل يمكن أن نقول إننا في نفس المستوى من الامتياز أن لم نكن أحسن منهم.

وإنجيل يوحنا يعلم أن المقدرة حتى على الإيمان هي عطية من الله لأنه لا يستطيع أن يأتي أحد إلى المسيح إن لم يجتذبه الأب (٦: ٤٤). انظر ١: ١٣. ٦: ٣٧ و ٣٩) ويقول السيد لليهود: «الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ. لِذَلِكَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ» (٨: ٤٧) وهذا يؤكد لتلاميذه عندما يقول لهم: «لَيْسَ أَنْتُمْ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ. وَأَقَمْتُكُمْ لِنَدْهَبُوا وَنَأْتُوا بِثَمَرٍ. وَتَدُومُ ثَمَرُكُمْ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ الْأَبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي... لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ. بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ. لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ.» (١٥: ١٦ و ١٩). وبهذا نعرف أن إنجيل يوحنا

بعلّم أن الخلاص يتوقف على عمل روح المسيح. فلا يوجد خلاص ولا يمكن أن يكون خلاص بعيداً عن عمل الله فينا بنعته.

ب- الباراقليط - روح المسيح

ما سبق نعرف أن عمل الروح هو إعلاني فلولاه لبقيت حياة المسيح وعمله غير مفهومين وبدون فائدة للإنسان. في ١٦: ٧-١١، ١٢-١٥ تأتي كلمة الروح ٤ مرات في ثلاث منها يُسمّى «روح الحق» وفي الرابعة الروح القدس. فماذا تعني «روح الحق»؟ عرفنا أن الحق يعني الحقيقة الإلهية. فإذا كان يسوع هو الحق فهو إذاً يشترك في الحقيقة الإلهية. وحياته هي إعلان الله إلى البشر. وهكذا روح الحق فإنها تعني أمرين: الأول هو أنه يشترك في الحقيقة الإلهية مثل الابن؛ فهو روح الله وروح يسوع المسيح الحق. وتعني ثانياً أنه يعلن الحق الخاص بحياة يسوع المسيح. فهو في حقيقة عمله مُعلن ويقود الناس إلى الحقيقة الإلهية. وبهذه الكيفية يكون عمل الروح موازياً ومشابهاً لعمل المسيح؛ فالاثنتان مُرسَلان من السماء (١٧: ٣، ١٤: ٢٦) وكلاهما جاء ليُعلن الحق (٧: ١٦-١٨، ١٦: ١٣-١٥) كلاهما يحمل رسالة دينونة للذين يرفضون الحق (٩: ٣٩، ١٦: ٨-١١). ومع ذلك ففي كل نقطة هناك اختلاف بسيط.

فالآب أرسل الابن، ولكن الابن أرسل الروح (١٥: ٢٦، ١٦: ٧). يسوع يشهد للحق بشهادته لنفسه، أما الروح فيشهد للحق بشهادته ليسوع (١٥: ٢٦، ١٦: ١٤) يسوع يبكت العالم على خطية. أما الروح يبكت العالم خلال شهادة تلاميذ المسيح لسيدهم. هذا يدل على

أن الروح القدس وظائفًا وجوهريًا هو روح المسيح. ولا يمكن أن يكون مستقلاً في الإعلان. فيسوع يقول: «لأنه لا يتكلم من نفسه... ذاك يُجَدِّي» (١٦: ١٣ و ١٤، ١٥: ٢٦). فهو يشهد للمسيح فقط. ولذلك عرف التلاميذ وفهموا ما فعله السيد بعد قيامته ومجيء الروح القدس (٢: ٢٢، ١٢: ١٦، ١٣: ٧). فشهادة الروح القدس إذًا ليست أشياء تصوفية لا علاقة لها بشهادة المسيح نفسه. كلا إنه لا يزيد شيئاً عما قاله المسيح بل هو من يجعل أقواله واضحة ومفهومة وحقيقية؛ إذ يفسرها للتلاميذ ثم يجهز الناس لتقبلها. ويجعلها مقبولة لهم عندما يسمعونها من التلاميذ في كل عصر. فهو تنوير العقل لقبول شهادة المسيح في البشارة للخلاص.

بهذه الكيفية نفهم معنى الباراقليط فهو «المُحامي - المدافع» وليس المعزي. إنه المدافع والمتكلم عن المسيح: عند التلاميذ لكي يفهمهم الرسالة. وهو المدافع والمتكلم عن المسيح لدى غير المؤمنين ليدينهم. فهو ليس متكلمًا عن التلاميذ أبدًا. بل عن المسيح. فالمعنى الأساسي للكلمة إذًا advocate. كما يلاحظ وستكوت ودود وبرنارد. وكما اقتبسها اليهود واستخدموها في معنى المدافع.

هذا المعنى هو الغالب في إصحاحي ١٤، ١٥ من الإنجيل مع أن «نظرية» التعزية تظهر في أول الإصحاح (١٤: ١) ثم مرة أخرى فيه (١٤: ١٦) إلا أن الإصحاح من عدد ٨ إلى الآخر يشرح إمكانية معرفة الله في سؤال فيلبس: «أَرِنَا الآبَ وَكَفَّانَا.» وكان رد السيد هو أن من يراه يرى الآب. ثم بعد صعوده سوف يقوم الروح بهذه المهمة. ثم يكشف لهم عن

الشهادة في إنجيل يوحنا ومفهومها اللاهوتي | ١٢٧

المسيح حقيقة فيروونه ويرون الآب فيه (١٦ و ١٧ و ٢٦). أما في إصحاح ١٥ و ١٦ فالمناقشة قضائية، فقبل أن يذكر الباراقليط يذكر الشهود في ١٥: ٢٢ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ يشهدون للمسيح ضد العالم. ثم في إصحاح ١٦ الباراقليط يشهد للمسيح في عدد ٨، وبذلك يتم عملاً يشابه عمل المسيح نفسه (٩: ٣٩، ١٥: ٢٢ - ٢٤). ففي الخطابات الأخيرة يظهر الروح على أنه المتكلم عن المسيح كما أن المسيح هو المتكلم عن الآب (١٤: ١٦). فلماذا يختار البشير هذا الاسم الباراقليط؟ (يجب أن لا ننسى أن المتكلم عن المسيح لا يمنع أن يكون الروح معلماً وشاهداً ومعلناً).

أولاً. يظهر يوحنا اهتماماً باللغة القضائية -مثل: يشكو، يوبخ، يشهد، يدافع، يدين- وهكذا الروح كشاهد للمسيح أمام العالم. وثانياً في العهد الجديد نجد أن الروح يظهر أحياناً كمُدافع (مرقس ١٣: ٩ - ١٣ رومية ٨: ١٦ و ٢٦، ايوحنا ٥: ٨). الأمر الثالث هو أن للروح أعمالاً أخرى: فهو مُعَزِّ للتلاميد في حزنهم ومعين ومعلم وواعظ *exhorter* فالإجابة عن السؤال لماذا يسمي يوحنا الروح القدس الباراقليط هو «نسبة لعمله في العالم» فهو مُبَكِّت (١٦: ٨ - ١١) فهو يُظهر موقف العالم الشرير تجاه بر المسيح ويُبَكِّت على خطية لأنه رفض المسيح (٣: ١٨ - ٢١، ٩: ٤١، ١١: ٣٧ - ٤٠) إن الروح يظهر صلب السيد وبره حتى أن خطية رفض العالم له تكون واضحة جداً. وعلى ذلك فالعالم يُبَكِّت على دينونة الله عليه. وهذا كله ظهر في آلام السيد حيث ظهر بره أمام رفض العالم.

إذا فتبكيك العالم يأتي بواسطة الكنيسة وشهادتها ووعظها وطقوسها: حيث يستخدمها الروح القدس ليشهد للرب. بهذا العمل الخارق، يصبح المؤمن وبالأخص الرسل وسيلة لعمل الله. وشهادة الروح تظهر في شهادة الرسل فيكون مدافعاً للتلاميذ. لأنه أولاً وأخيراً مدافعاً عن شهادتهم للمسيح فيكون شاهداً ومدافعاً للمسيح.

الخاتمة ٢١

في إعلان يسوع للآب كان يعلن ذاته أيضًا

فهم عزيز

بقدّم فهم عزيز في هذا الكتاب دراسةً للفكر اللاهوتي في إنجيل يوحنا لأول مرة في اللغة العربية. بمنهاج واضح وشامل وبشكل بارع ليظهر الإعلان السامي للمسيح «الكريستولوجي Christology» في هذا الإنجيل. ولقد امتد اهتمامه بكتابات يوحنا لسنوات عدة. ففي كتابه المدخل إلى العهد الجديد قدم بشكل أكاديمي ونقدي العديد من القضايا الجدلية والشائكة حول كتابات يوحنا. من ضمنها: من هو كاتب إنجيل يوحنا؟ وما إذا كان هناك أشخاص آخرون اشتركوا في الكتابة بجانب البشير نفسه. وما إذا كانت هناك إضافات إلى هذا الكتاب قبل أن استقبلته الكنيسة بشكله الكامل. وكما هو بين أيدينا الآن.

وفي مقدمة كتاب المدخل خاطب المؤلف القراء قائلًا: «لا تخشوا على

٢١ - نظرًا لأن المؤلف انتقل للمجد دون أن يكتب خاتمة للكتاب. فقد قام الدكتور نبيل فهم عزيز بكتابة الخاتمة كتنمية للكتاب ليكون كاملاً لكي يخرج للنور.

الكتاب المقدس. ولا تخافوا من أي هجوم. فنحن لا نعبد كتابًا. ولكننا نعبد السيد الموجود بين دفتي هذا الكتاب. وهو الذي يعطي للكلمات تأثيرها وعملها فتصبح إجيلًا... بشارة (كريجما)». لاحقًا حطَّ المؤلف «كتابه الفكر اللاهوتي في إجيل يوحنا» بدون الحاجة إلى التعرض لمثل هذه الدراسات النقدية. وهذا يعكس قناعاته العميقة بالاحتياج إلى أن يُقدِّم رؤية لسمو عقيدة المسيح في إجيل يوحنا - كما هو في أيدينا الآن - لأن هذا هو الشكل الذي نحن متأكدون أنَّ هذا الإجيل وُجِدَ فيه أصلًا.

بعد استعراض للمدارس التفسيرية المختلفة لإجيل يوحنا. يقول فهيم عزيز إنه رغم وجود إشارات ورموز طقسية في النص. فإن التفسير الحرفي لا يزال هو الأساس في تفسير الإجيل. وإنه كلما بنى المفسر تفسيره على الظاهري فإنه يسير في الخط الصحيح. مع الأخذ في الاعتبار. وبكل حذر. أن يشير ويفسر هذه إلى الإشارات والرموز الطقسية التي تشير إلى المعمودية والعشاء الرباني. وهذا مهم للكنائس التقليدية. فالبشير لا يذكّر في كتابه حادثتي المعمودية يسوع والعشاء الرباني. ويلاحظ فهيم عزيز أن البشير لا يربط المعمودية والعشاء الرباني بقول واحد عابر ولا بحادثة واحدة يكفي أن تُذكر في بضعة أعداد قليلة. إنه يرى أن الطقسين مهمّان جدًّا في حياة السيد. ففي تصريحه وفي عمله الرمزي المتكرر تُجد هذين الطقسين. إنهما يرتبطان ربطًا مُحكمًا بحياة يسوع في الجسد. متأصلان في هذه الحياة بما فيها من قول وعمل. فكل نشاط يسوع وفكره كان له ارتباط

بهذين الطقسين بطريقة أو بأخرى. وذلك يعطيتهما الأهمية القصوى في هذا الإنجيل.. هذا ما يؤكدّه فهيم عزيز. فكلّلمات الماء والخبز والخمر لها معنيان. معنى حرفي مباشر ومعنى رمزي عميق في نفس الوقت. والمعنيان لا ينفصلان. ارتباط المعنيين يعبر عن ارتباط حضور الرب في كنيسته في المعمودية والعشاء الرباني بحياة يسوع في الجسد. وخصوصًا في موته وقيامته.

حرص فهيم عزيز أن يوضّح أنه بالرغم من أن إنجيل يوحنا عرّض القصة القديمة ليسوع بطريقة تختلف جذريًا عن الأنجيل الثلاثة الأخرى، ولكن بتوافق مع التراث المسيحي الأصلي الذي احتفظت به الكنيسة. أمّا الاختلاف فيرجع إلى دراية البشير باحتياج الكنيسة لقيادة روحية للتعامل مع بعض الحركات التي لم تكن تسير في الاتجاه الصحيح بعد أن كثرت الكنائس. واتسعت رسالتها في الوقت الذي غاب فيه صوت الرسل لرحيلهم. العالم أيضًا كان في حاجة إلى تفهّم الأسس التي عليها تبني الكنيسة ادعائها وإعلاناتها. ولهذا كان البشير مدعوًا لوضع هذا الأساس في إنجيله. إنها شهادة يسوع المسيح نفسه وإعلانه. صوت الحق نفسه يتحدث إلى العالم وأيضًا يوجّه الكنيسة.

يصل الكتاب إلى ذروته في الباب الرابع: حيث يشير فهيم عزيز إلى نوعين من «عقيدة المسيح» الكريستولوجي Christology. العقيدة الأقل، التي لم تصل إلى مرتبة الألوهية، إلى جانب العقيدة السامية، التي لم يصل إلى سموها أي كاتب آخر في العهد الجديد حتى الرسول

بولس نفسه. الألقاب التي نسبها التلاميذ الأوائل إلى يسوع الناصري: المسيا، ملك إسرائيل، ابن الله، النبي. فكلها مازالت تخوم في البشرية حتى لقب «ابن الله»، الذي كان أيضًا يُطَلَق على النبي وملك إسرائيل على أنه شخص يمثل الله. مقابل هذا فإن الألقاب السامية التي يستخدمها البشير ضمت «الكلمة» أو «اللوغوس» وهي تأتي في مقدمة الإنجيل. ثم تأتي كلمة «المسيا مخلص العالم» ليصبح المسيا أو المسيح كونيًا أي للعالم كله وليس لليهود فقط.

والمحور الأساسي في الباب الرابع هو في الكلمتين: الشهادة والإعلان: فمن خلال هذا يظهر لنا الإعلان السامي للمسيح في هذا الإنجيل. فالشهادة إذا ترتبط بالإعلان في إنجيل يوحنا وهذا ليس غريبًا عليه. فالإعلان كلمة ومفهوم هام جدًا في هذا الإنجيل. أما الشهادة فتتضمن شهادة المسيح نفسه ليعلم الأب. وفي إعلانه للأب كان يعلن ذاته «أنا والآب واحد». كذلك الله الآب شهد في الكلمة النبوية (يوحنا المعمدان). ثم الكلمة المكتوبة أي (الكتب المقدسة). ثم الكلمة المعمولة (الآيات) ليعلم الابن. ثم تأتي شهادة البشر مثل المرأة السامرية والذين كانوا عند قبر لعازر وشهادة البشير نفسه الذي رأى رؤية العين أحداث حياة يسوع. وموته، وقيامته، وسمعه سمع الأذن وهو يعلم الجموع ويتحدث مع تلاميذه. وأخيرًا شهادة الروح القدس. وهي الشهادة الداخلية لقلب الإنسان لتنتفتح عيناه الروحيتان لإعلان الكلمة لقبول شهادة المسيح في البشارة للخلاص. هذا الروح هو نفسه دَكَّر البشير وفتح عينيه على أمور بخصوص يسوع تساعد الكنيسة أن تتعامل مع تحدياتها في ذلك الوقت.

افتتاحية الإنجيل «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ» تعلن أزلية يسوع. هذا هو نفسه الكلمة الأزلي. والرب الأبدي الذي صنع مع الآب تدبير الخلاص الأكمل. فهو الابن بحسب شهادته هو لنفسه. وبنويته للآب ليست بنوية التبني. أي أنه صار ابناً لله كما يحدث للمؤمنين، ولكنه «الابنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ». يسوع الكلمة والذي «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عَمَّا كَانَ» يكشف ارتباط الاثنين معاً البنوية والعمل. هو ابن وهو خالق أي طبيعته وعمله. وبواسطة الاثنين هو المعلن والشاهد الحق للآب ولنفسه.

أخيراً هناك المعنى الخاص للكلمة في نسبتها إلى المسيح «أنه الكلمة». فبهذا المعنى يكون يسوع هو المعلن الأكمل الذي أعطى الإعلان النهائي لله ليس فقط لمقدرته على الشهادة الكاملة. وليس فقط لإمكانياته الروحية التي لم يتمتع بها أي بشر. ولكن على أساس من هو وما هي طبيعته. والمسيح ليس فقط النشاط في الماضي، أي العهد القديم. والحاضر أي الإعلان في شخصه هو. بل في المستقبل أيضاً فالابن الأزلي هو المعلن قبل التجسد. وبعد التجسد أيضاً. وفي كل هذه دلالة على أنه قد حدث تطوُّر في تفكير هذا الإنجيل أو هذه الجماعة التي كُتِبَ لها هذا الإنجيل.

الآية في إنجيل يوحنا (الكلمة المعمولة) لم يكن المقصود منها الرحمة والشفقة أو الإعجاب. بل كان المقصود منها الشهادة لإعلان الابن. وإعلان الله الآب. لكي تقود الناس إلى الإيمان. بتعبير آخر الآية ليست علامة على قوة إلهية. ولكنها تعبير عن وجود الحق نفسه. أو

الله نفسه. ولهذا فهي جزء من حادثة المسيح: فهي إذا إعلان. إنها إعلان جديد سامٍ. بهذا المفهوم فإن المعجزات في إنجيل يوحنا ليست وليدة الإيمان. ولكنها مُولَّدة للإيمان، وعدم الإيمان الذي يشوب حياة ما، لا يأتي من نقص في المعجزات، ولكن من العمى الروحي. وهنا يأتي دور الشهادة الداخلية للروح القدس، لتنوير العقل لقبول شهادة المسيح في البشارة للخلاص.

في هذا الإطار قدم فهمهم عزيز معالجة لـ «طوبى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَتَوَّأ» موضعاً أنَّ توما كان يجب أن يرى آثار وجراحات يسوع كما رآها بقية التلاميذ من قبله ليصير توما مثلهم رسولاً وشاهدًا ليسوع المقام والمجد. أما رؤيتنا نحن فهي رؤية روحية من خلال عمل الروح القدس حينما يحول شهادة كلمة الإنجيل التي سجلها لنا الرسل إلى حقيقة يقينية من أجل الإيمان. الرؤية تسبق الإيمان الذي هو عطية إلهية. هذا ما يُطلَقُ عليه الرؤية والإيمان المسيحي.

من الناحية العملية كمؤمنين. نحن لنا شهادة لنخبر بكم صنع بنا الرب ورحمنا. هذه شهادة للمسيح وقوه عمله في المؤمن وليست شهادة عن المؤمن ذاته. الروح القدس-روح المسيح- هو وحده القادر أن يُحوِّل هذا المعرفة لرؤية روحية لقبول بشارة الخلاص.

شكرًا للرب أن هذا الكتاب يخرج إلى حيز النور. في وقت تحتاج فيه كنيستنا العربية إلى معونة تساعدنا في تقديم شهادتها عن الرب الإله. بإعلانه السامي في عالم تتواتر فيه الأفكار والمعتقدات عن ربِّ

المجد. في تقديم شهادتنا. علينا أن لا نكون بسطاء فنظن أن العالم
سيجري وراءنا عندما نبشره بالإجيل. لتكن فينا روح الإرسالية، ولكن
بحكمة. فروح المسيح وحده هو القادر أن يحول الشهادة إلى رؤية فإيمان.

طالما اتسم عصرنا الراهن بتحدياته الفكرية واللاهوتية؛ لا سيما مع سهولة تداول المعلومات ونشر الأفكار. لكن ربما كان كاتب إنجيل يوحنا أمام ظروف شبيهة من انتشار تحديات فكرية ولاهوتية خطيرة وشائكة. وقد يفسر لنا هذا لماذا يختلف إنجيل يوحنا في طريقة سرده عن بقية الأناجيل، من خلال الدلالات التي يحملها سرده الأحداث ومعجزات المسيح وكلماته. وهذه السمات المميزة لإنجيل يوحنا حفزت الباحثين والنقاد على دراسة هذا الإنجيل في سياقه الفكري، بعد طرح الأسئلة الرئيسة التي يهتم بها النقد الشكلي والعمل التفسيري عمومًا.

وهذا ما حرص عليه مؤلف الكتاب من طرح هذه الأسئلة وتتبع الأفكار اللاهوتية التي يحملها إنجيل يوحنا، وقراءتها في إطار سياقها التاريخي والمدارس التفسيرية المختلفة على مر العصور لإنجيل يوحنا. ويقدم أيضًا تفسيرًا واقفيًا لعقيدة المسيح "الكريستولوجي"، وكذلك الشهادة ودلالاتها في إنجيل يوحنا، وأشكالها؛ من شهادة يسوع المسيح نفسه، والشهادة الإلهية، والبشرية، وشهادة الروح القدس "البارافليط".

كما يهتم المؤلف أيضًا ببحث الظروف التاريخية، وي طرح الأسئلة حول المستهدفين من الكتابة والكاتب وزمن الكتابة، ومدارس تفسير هذا الإنجيل، ومدارس النقد، ورؤية الكنيسة لإنجيل يوحنا، وكذلك رؤية الغنوسيين والجماعات المختلفة لإنجيل يوحنا؛ مما يمنح القارئ صورةً شاملةً حول إنجيل يوحنا، بأسلوب مشوق، وبحث أكاديمي دقيق. وهو يضع هذا المحتوى اللاهوتي القيم بلغة مشوقة تحاور القارئ بطرح الأسئلة والإجابة عاها ليقدم فكرًا مرنًا ودقيقًا.

